فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزةٌ بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ، فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله؛ امتثالاً لأمره ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد ﷺ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله، وبالعلم الّذي به أمر ﷺ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون). والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد الستّار السيّد

الجُزءُ العاشر

سورة الأنفال من الآية (٤١-٧٥)

سـورة التّوبة من الآية (١-٩٢)

(الآية ٤١) - ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾: إنّ وَعْدَ الله ﷻ بالغنائم تأكيدٌ للنّصر.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ...﴾: الخُمس لله ﷻ وللرسول الكريم توزّع على قرابة النّبيّ ﷺ كما قال بعض العلماء، وتوزّع على اليتامى والمساكين وابن السّبيل، وهي المصارف الّتي بيّنها الله ﷻ لتوزيع الغنائم.

﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: فتوزيع الغنائم بالطّريقة الّتي أمر الله ﷻ جزءٌ من الإيمان به ﷻ.

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾: وما أنزلنا على عبدنا من آياتٍ قرآنيّةٍ ومن بيانٍ ونصرٍ يوم الفرقان، وهو اليوم الّذي فرّق الله ﷻ به بين الحقّ والباطل، وهو يوم بدر.

﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾: الجمعان هما جمع المؤمنين الّذي كان يقوده النّبيّ ﷺ على رأس ثلاثمئةٍ من أصحابه، وجمع الكفّار الّذي كان يقوده أبو جهلٍ وأبو سفيان في أكثر من ألفٍ من مشركي قريش بعتادهم كلّه.

(الآية ٤٢) - ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢﴾:

هذه الآية تبيّن جغرافيّة معركة بدر.

﴿بِٱلْعُدْوَةِ﴾: شاطئ الوادي وجانبه، وهو مكانٌ مرتفع.

﴿ٱلدُّنْيَا﴾: تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب؛ أي القريبة من المدينة.

﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾: أي المشركون بالجانب الآخر الأبعد من المدينة.

﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: الرّكب؛ أي العير الّتي كانت تحمل بضائع قريش في مكانٍ أسفل من المكان الّذي أنتم فيه، بالقرب من ساحل البحر الأحمر.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾: ولو كان ذلك عن ميعادٍ منكم ومنهم، ثمّ بلغكم كثرة عددهم وقلّة عددكم، ما لقيتموهم.

﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: هذا التّرتيب واللّقاء تمّ ليقضي الله ﷻ أمراً كان مفعولاً، والله ﷻ قادرٌ على كلّ شيء، إذا قال للشّيء: كن، فيكون، وهو فعّالٌ لما يريد، وأمر الله ﷻ هنا أن يتمّ اللّقاء المسلّح للمرّة الأولى بين الفئة المؤمنة والفئة المشركة في بدر.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾: ليس المقصود هنا الموت والحياة بالشّكل العاديّ، وإنّما الحياة والموت المعنويّان.

﴿لِّيَهْلِكَ﴾: أي ليهلك في طغيانه وفي إشراكه، لذلك فصلت ما بين القوم المؤمنين والقوم الكافرين، وكانت الأمور بيّنةً واضحة.

(الآية ٤٣) - ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ﴾: وهذا ما يُسمّى الإعداد النّفسيّ، فالله ﷻ أرى النّبيّ ﷺ في منامه أنّ عدد المشركين قليلٌ، مع أنّهم أكثر بثلاثة أضعاف.

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾: سيكون هناك وهنٌ وضعفٌ؛ بأنّهم لن يستطيعوا أن يواجهوا هذه الأعداد كلّها وهذه القوّة والسّلاح؛ لأنّهم فئةٌ قليلةٌ لا تملك شيئاً في مواجهة الفئة المدعّمة بكلّ شيء، فإذاً لو أراهم الله ﷻ حقيقة عدوّهم لكان هناك فشلٌ وتنازعٌ في الأمر.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: هو عليمٌ بذات الصّدور، أي بداخل الصّدور، فهو يعلم السّرّ وأخفى، وقد أراد ﷻ أن يسلّم النّبيّ ﷺ والمؤمنين معه فكان هذا من باب الإعداد النّفسيّ لهذه الموقعة، وقد أراد ﷻ أن يصوّر لنا الجوّ الّذي كان لأوّل لقاءٍ وصدامٍ بين الحقّ والباطل.

(الآية ٤٤) - ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾:

يتابع المولى ﷻ ما امتنّ به على رسوله الكريم وعلى المؤمنين من عطاءٍ

قبل هذه الموقعة وأثناءها وبعدها، وقد سمّاها المولى ﷻ موقعة الفرقان، فالله ﷻ أرى النّبيّ ﷺ والمؤمنين معه عند اللّقاء أنّ عدد المشركين قليلٌ، والحقيقة هم كانوا ثلاثة أضعافٍ، وذلك لتقويّة الرّوح المعنويّة لدى المؤمنين، حتّى يروا أنّهم يستطيعون أن يجابهوهم ويحاربوهم وينتصروا عليهم، وكذلك قلّل الله ﷻ عدد المؤمنين الّذين كانوا مع رسول الله ﷺ في أعين المشركين، فمع أنّهم كانوا قلّةً قرابة ثلاثمئةٍ إلّا أنّ الله ﷻ جعل هذه القلّة في أعين المشركين أقلّ من الواقع، حتّى يشعر المشركون بالارتياح والزّهو بأنّهم سينتصرون، فهذه من الإعدادات الّتي أعدّها الله ﷻ للمؤمنين.

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: الأمر المفعول هو أن يتمّ اللّقاء وتتمّ موقعة بدر، فالأمر هو ألّا تكون القضيّة قضيّة العير، وإنّما أن تكون هي النّفير.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: الأمور جمع أمر، ولا يتمّ أمرٌ من الأمور صغيرٌ أو كبيرٌ إلّا إلى الله ﷻ مرجعه.

(الآية ٤٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾:

ذِكرُ الله ﷻ هو عُمدةٌ بالنّسبة للمؤمن وعليه أن يأخذ بالأسباب، فعليه أن يثبت ويواجه ويكون على أكمل وجهٍ من الاستعداد والشّجاعة والصّبر، مع ذكر الله ﷻ؛ لأنّه هو النّاصر.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ولن يكون الفلاح والفوز إلّا للمؤمنين.

(الآية ٤٦) - ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾:

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يكرّر الله ﷻ هذا الأمر في كثيرٍ من الآيات والمواقف، وهو طاعة الله ﷻ في كلّ ما أمر، وطاعة الرّسول الكريم ﷺ في كلّ ما بيّن ووضّح وجاء به من أوامر تفصيليّة، وطاعة الرّسول ﷺ هي من باطن طاعة الله ﷻ.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: هنا أمرٌ مهمٌّ جدّاً لبيان موضوع قوّة الإيمان وقوّة المؤمنين، فالإسلام دائماً يدعو إلى وحدة الصّفّ، وإلى عدم وجود المشاحنات والتّنازع؛ لأنّها تهدر طاقات الأمّة، قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٠٣]، وانعدام الخلافات والنّزاعات والمشاحنات أساسٌ لتحقيق الانتصار، فالانتصار لا يتحقّق إلّا إذا كان النّاس على قلب رجلٍ واحدٍ وبرأيٍ واحدٍ وهدفٍ واحدٍ، فهذه عدّة الانتصار، فإن تنازعوا فشلوا وهزموا.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: أي قوّتكم، فالرّيح تعبيرٌ عن القوّة، وأيضاً تُطلق الرّيح على الرّائحة، فلكلّ إنسان رائحةٌ خاصّةٌ به، وهناك كلابٌ مدرّبةٌ تميّز كلّ إنسانٍ عن الآخر من خلال رائحته الخاصّة، وقد مكّن الله تعالى يعقوب عليه السلام من أن يشمّ رائحة يوسف عليه السلام على بُعد المسافات: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف].

وقد يكون معنى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: يذهب أثركم وقوّتكم بسبب التّنازع والخلافات.

﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾: لا يوجد أيّ انتصارٍ إلّا مع عدّة الصّبر؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: من الآية ٤٥]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ لأنّ الصّبر هو أساس العبادات كلّها، وكما قال النّبيّ ﷺ: «**الصّبر نصف الإيمان**»(١)، لذلك قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزّمر: من الآية ١٠]، فالإنسان في دنيا ابتلاءٍ ولا يمكن أن تكون الدّنيا مسرّاتٍ كلّها، فيومٌ فرحٌ ويومٌ ترح، يومٌ منحٌ ويومٌ منع، يومٌ مرضٌ ويومٌ شفاء، يومٌ غنىً ويومٌ فقر، يومٌ حياةٌ ويومٌ موت، وتتوالى الحياة، فنحن في عالم أغيار، لذلك الصّبر هو عدّة المؤمن الأساسيّة الّتي يواجه فيها الابتلاءات كلّها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: نتحدّث عن معيّة الله ﷻ، فعندما يُدخل الإنسان نفسه في معيّة الله ﷻ فإنّ مقاييس المادّة والمقاييس البشريّة تختفي، كما حدث مع موسى عليه السلام عندما قال أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾ [الشّعراء: من الآية ٦١]، أدخل نفسه في معيّة الله ﷻ فكان جوابه: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشّعراء]، وكذلك عندما أحاط المشركون بالغار عند هجرة الرّسول ﷺ مع الصّدّيق رضي الله عنه، قال الصّدّيق رضي الله عنه: يا رسول الله، لو

(١) مسند الشّهاب: الصّبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كلّه، الحديث رقم (١٥٨).

نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا، فقال ﷺ: «**ما ظنّك باثنين الله ثالثهما**»[1]، فسجّلها القرآن الكريم: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التّوبة: من الآية ٤٠]، والحديث القدسيّ الّذي يرويه النّبيّ ﷺ عن ربّه: «**إنّ الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا ربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنّك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا ربّ، وكيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: يا ربّ، كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما أنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي**»[2]، فإذاً هي (عنديّة) الرّحمة والعطاء من الله ﷻ، فعندما تكون صابراً فأنت في معيّة الله ﷻ.

(الآية ٤٧) - ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾:

يخاطب المؤمنين ألّا يكونوا كمشركي قريش الّذين خرجوا من ديارهم

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، سورة (براءة)، الحديث رقم (٤٣٨٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب فضل عِيادة المريض، الحديث رقم (٢٥٦٩).

لمقاتلة النّبيّ ﷺ في المدينة المنوّرة مع أنّ أبا سفيان نجا بالعير، لكنّهم أبَوا الرّجوع تكبّراً ورياءً ولتسمع القبائل العربيّة بجمعهم فلا يزالون يهابونهم كما قال أبو جهل، وحتّى يهزموا النّبيّ ﷺ فيضعوا صدّاً وحاجزاً بين بقيّة القبائل العربيّة وبين الإيمان برسول الله ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾: الله ﷻ مطّلعٌ على أعمالهم وعلى سرائرهم، فهم كادوا وخرجوا بمظاهرةٍ ضلاليّةٍ للتّكبّر والسّمعة والصّدّ عن سبيل الله ﷻ، فكانت النّتيجة هي الهزيمة لهم والنّصر العزيز للمسلمين، وانتشر الإسلام ودخلت القبائل العربيّة في دين الله ﷻ أفواجاً، على عكس ما كانوا يتصوّرون.

(الآية ٤٨) - ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤٨﴾:

عمل الشّيطان التّزيين فلا يستطيع الشّيطان أن يعطيك القوّة والنّصر وإنّما يوسوس فقط.

﴿وَإِذۡ زَيَّنَ﴾: أي أغواهم.

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾: لأنّ الشّيطان ليس له إلّا الكلام، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ

﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ [إبراهيم: من الآية ٢٢]، وعدتكم كلاماً فقط.

﴿وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾: أي: إنّني معكم أمدّكم وأقوّيكم، وسأكون إلى جانبكم في هذه المعركة.

﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾: أي: أصبحت فئة النّبيّ ﷺ في بدرٍ وفئة المشركين يرون بعضهم بعضاً مباشرةً واحتدم الأمر وبدأت المعركة.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾: تراجع الشّيطان على عقبيه.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: الشّيطان مخلوقٌ من نار، وقد قلنا سابقاً: بأنّ الله ﷻ خلق الجنّ والإنس والملائكة، وليس كلّ ما لا نراه غير موجودٍ، فهناك مخلوقاتٌ كثيرةٌ كالجراثيم والبكتريا وغيرها موجودةٌ وحيّةٌ ولكنّنا لا نراها، وكلمة (الشّيطان) تُطلق على كلّ شريرٍ مُفسدٍ من الجنّ أو الإنس، والمراد هنا المفسد من الجنّ الّذي أُهبِط إلى الأرض، وهو القائل: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: من الآية ٨٢]، أي بقوّتك وباستغنائك عن خلقك، ولذلك يقول هنا: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، وقد يسأل سائلٌ: إذا كان الشّيطان يخاف الله ﷻ فلماذا استمرّ في غيّه؟ ولماذا سيدخل النّار؟ الجواب: نحن نقول بأنّ الشّيطان تكبّر في تلك اللّحظات الّتي أعطى الله ﷻ فيها الأمر، فأُخرج وطُرد من رحمة الله ﷻ، فمع أنّه يعلم بعذاب الله ويخاف من عذابه ﷻ، ولكنّه ردّ الحكم على الله ﷻ، فلا ينفعه علمه بلا تقوى الله ﷻ وامتثال أوامره.

(الآية ٤٩) - ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾:

أخطر داءٍ يصيب المجتمعات هو داء النّفاق، وهو داءٌ خطيرٌ عضال، العدوّ تراه وتعرفه، أمّا المنافق فيكون داخل الجسد، والمنافق بشكلٍ عامٍّ لديه تعارضٌ وتصارعٌ في الملكات الدّاخليّة؛ لأنّه يقول غير ما يُبطِن، ويُظهر غير ما يُخفي، وقد ظهر النّفاق في المدينة المنوّرة ولم يظهر في مكّة؛ لأنّ المسلمين كانوا قلّةً ومضطهدين، فلا يحتاج أحدٌ أن ينافقهم، أمّا عندما قويت شوكتهم، وخصوصاً بعد انتصارهم في غزوة بدر فقد أصبح النّفاق كثيراً، والمنافقون موجودين في كلّ مكانٍ، وقد بيّن القرآن الكريم في ثلاث عشرة آيةٍ في بداية سورة (البقرة) صفات المنافقين، وذكرهم في سورٍ أخرى، وبيّن مصيرهم يوم القيامة بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النّساء]، وقد كان ابن سلول يقود حركة النّفاق في المدينة المنوّرة، فأصبح هؤلاء المنافقون يعملون على محاولة إضعاف الجسد الدّاخليّ للمؤمنين، فعندما انتصر النّبيّ ﷺ قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، فبماذا سيغترّون؟ المؤمنون لم يغترّوا، فهم يعلمون أنّ النّصر من عند الله ﷻ، وهم لا حول لهم ولا قوّة، لذلك أتبع الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هم توكّلوا على الله ﷻ حقّ التّوكّل، والعزيز هو الغالب الّذي لا يُغلب، المستغني عن خلقه، والحكيم هو الّذي يضع الأمور في نصابها، فبعد النّصر العزيز المؤزّر واجه النّبيّ ﷺ والمؤمنون في تلك المرحلة

حركة النّفاق الكبيرة في المجتمع.

جاءت كلمة نفاق من نافق اليربوع؛ أي دخل في النّافقاء، واليربوع عبارةٌ عن حيوانٍ يتّخذ عدّة مسالك وطرقٍ وأنفاق فيهرب من هنا ويهرب من هنا.. وهكذا، ومنه أُخذت كلمة المنافق وهو الّذي يُظهِر غير ما يبطن.

(الآية ٥٠) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: يخاطب المولى ﷻ نبيّه الكريم ولو ترى يا محمّد.

﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: حذف ﷻ جواب (لو) ولم يبيّنه تاركاً لخيال النّبيّ ﷺ ولخيال النّاس أن يتصوّروا هذا الموقف وهذا العذاب الأليم، ولحظة النّزع الأخير وما تقوم به ملائكة الموت عند إخراج روح الكافر.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾: وهنا يذهب تصوّر الإنسان كلَّ مذهب؛ لأنّه لا يستطيع أن يتصوّر هذا الموقف، وكيف أنّ ملائكة الموت تضرب الوجوه والظّهور لهؤلاء المشركين.

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: بعد هذا العذاب سيكون عذاب النّار وبئس المصير.

(الآية ٥١) - ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾:

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: ذلك: اسم إشارةٍ؛ أي أنّ الضّرب

وقت الوفاة وعذاب الحريق بسبب ما قدّمت أيديكم، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّجم]. والإشارة إلى اليدين هي إشارةٌ إلى الأعمال وما يقدّمه الإنسان منها.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: الّذين لا يفهمون روح اللّغة العربيّة يظنّون ظلّام صيغة مبالغة على وزن (فعّال)؛ أي أنّه ﷻ نفى أنّه كثير الظّلم ولم ينف القليل، وهذا فهمٌ خاطئٌ لمعاني اللّغة العربيّة؛ لأنّه لم يقل هنا: ظلّامٌ للعبد، إنّما قال: للعبيد، أي أنّها تشمل العدد الكبير من جرّاء ظلمهم، فجاء بكلمة: ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾؛ لتشمل الأعداد من النّاس كلّهم الّذين كفروا وأنكروا وعتوا واستكبروا على الله ﷻ، وهو ﷻ لا يظلم النّاس مثقال ذرّة.

(الآية ٥٢) - ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾:

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: الدّأب: هو العادة، يُقال: دؤوب على كذا؛ أي مُعتادٌ على كذا.

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: ثمود وهود وقوم لوط وقوم نوح.

﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: ضرب الله ﷻ المثل بآل فرعون؛ لأنّ الحضارة الفرعونيّة ما زالت باقيةً ماثلةً بين أيدينا، وشاهد عيانٍ على ما جرى من قوم فرعون من عتوٍّ وطغيان، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ

﴿كَذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر]، فقد أخذهم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بذنوبهم؛ لأنّه قويٌّ شديد العقاب.

(الآية ٥٣) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾:

أعطى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى النّعم للنّاس، وهو سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا يتغيّر، ولكنّ الإنسان هو من يتغيّر، لذلك عليه ألّا يطلب من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتغيّر من أجله، ولكن عليه أن يتغيّر هو من أجل ربّه جلّ وعلا، لذلك يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى هنا: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، فإذا تغيّروا، وبدّلوا الكفر بالإيمان، والكذب بالصّدق، والخيانة بالأمانة، والرّذائل بالأخلاق.. فإنّ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يسلّط عليهم الابتلاءات وتذهب عنهم النّعم الّتي أعطاهم إيّاها، ولا يمكن أن يحدث أيّ تغييرٍ ما لم يغيّر الإنسان عاداته السّلبيّة والسّيّئة إلى الخير والحسن، وقد ذكرنا سابقاً أنّ الجرائم الظاهرة لا تكون إلّا من خلال أمراضٍ نفسيّةٍ داخليّةٍ، فقوانين البشر كلّها تحرس المجتمعات من الجرائم الظّاهرة، وعين القانون لا ترى الجرائم الباطنة الخفيّة الّتي تكون داخل القلوب من حسدٍ وحقدٍ وضغينةٍ، أمّا عين الدّين فهي ترشد الأعماق إلى الصّواب؛ لأنّ الدّين أمانةٌ وضعها الحقّ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى الّذي خلق الخلق في ضمير الإنسان، فإيّاك أن تخون الأمانة في الأمور السّريّة الّتي لا يعرفها أحدٌ سوى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، كالحسد والبغضاء.. فإذا لم تتوفّر الحراسة الإيمانيّة من الضّمير على الأعمال الباطنة، فقد ينحرف الإنسان إلى أيّ جريمةٍ ظاهرةٍ، وهذه الحراسة

الإيمانيّة لا تتمّ إلّا من خلال الأمانة الّتي بيّنها الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]، وعلى الإنسان أن يحافظ عليها حتّى لا يغيّر الله ﷻ من نِعمه الّتي أنعمها على النّاس ويحلّ عليهم غضبه.

(الآية ٥٤) - ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾:

قد يسأل بعضهم: لماذا هذا التّكرار؟ في الآية السّابقة قال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ كفروا بآيات الله ﷻ، وهنا أنكروا نعم الله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾.

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ﴾: نصّ هنا صراحةً على الإغراق الّذي تمّ لفرعون وآله.

﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾: الحديث هنا كان عن الجحود والكفر بالله ﷻ كما فعل فرعون، وهناك كان الحديث عن النّعم الّتي أنعمها الله ﷻ عليهم فجحدوا بها، لذلك ليس هناك تكرارٌ بين الآيتين وإنّما هناك أسرارٌ.

(الآية ٥٥) - ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾:

﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾: كلّ ما يدبّ على الأرض، وتطلق على الّذي يدبّ على أربع، وقد استخدم المولى ﷻ عبارة الدّوابّ في الّذين أشركوا؛ لأنّ الدّوابّ إنّما تسير بالغريزة، وليس لها عقلٌ ليختار بين البدائل، فالعقل من أجل أن يختار الإنسان بين الحقّ والباطل، وبين الخير والشّرّ.

(الآية ٥٦) - ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾:

انتقل المولى ﷻ من الحديث عن جوّ معركة بدر إلى التّآمر اليهوديّ ونقض العهود، ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ [المائدة].

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ﴾: من الّذين نقضوا العهد؟ هم بنو قريظة الّذين أمدّوا المشركين بالسّلاح وأعلموهم بخروج النّبيّ ﷺ مع أصحابه، وتآمروا من داخل المدينة، مع أنّ هناك عهوداً ومواثيق وقّعها النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام معهم ولكنّهم نكثوا العهد، ودائماً ديدن اليهود نقض العهود، فهم لا عهد لهم ولا سلام معهم؛ لأنّهم يحتالون وهذه طبيعتهم كما بيّنها القرآن الكريم.

﴿فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾: ليست في هذه المرّة فقط، وإنّما في كلّ مرّةٍ توقّع معهم مواثيق وعهود سينقضونها، وهذا ما حدث في معركة الخندق عندما تآمر اليهود عليه جميعهم.

﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾: التّوراة نزلت عليهم وهم أهل كتاب، فمن المفترض أن يتّقوا الله تبارك وتعالى وأن يقفوا إلى جانب ما وثّقوه مع رسول الله ﷺ.

(الآية ٥٧) - ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾:

﴿فَإِمَّا﴾: إن شرطيّة مدغمة هنا بما.

﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: كلّما وجدتهم بالحرب.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: أي اجعل هؤلاء عبرةً لمن خلفهم حتّى لا يحتشدوا من ورائهم، كما يقال: الضّربة القويّة تخيف الآخرين، فإمّا تلقاهم يا محمّد، فعليك أن تشرّد بهم من خلفهم وهم اليهود الّذين كانوا يحرّضونهم ويمدّونهم بالسّلاح.

(الآية ٥٨) - ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾: يأمر الإسلام بالوفاء بالعهود، فإذا وصل إليك بأنّهم سيخونون فلا تأخذهم على غرّة.

﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ﴾: أي أخبرهم وبيّن لهم؛ لأنّ الإسلام لا يتعلّق فقط بالمسلمين، فقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾ [النّساء]، لتحكم بين النّاس، مع ذلك المطلوب منك يا رسول الله إن خفت من قومٍ فابعث إليهم وبيّن لهم بأنّهم خانوا العهد قبل أن تتمّ أيّ معركة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾: نجد في كثيرٍ من الآيات القرآنيّة قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾ [آل عمران: من الآية ٥٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

﴿ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: من الآية ١٩٠]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: من الآية ٣٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾، عندما نتتبّع في القرآن الكريم عن الّذين لا يحبّهم الله ﷻ نجد أنّ عناصر الفساد والسّوء كلّها هي الّتي لا يحبّها الله تعالى، والمطلوب منك أن تكون دائماً على صلاحٍ وعلى أخلاقٍ وقيم حتّى فيمن فعل معك ذلك، فإنّ هناك أمانةً هي أن تأخذ بالقوّة، لكن عليك أن تبلّغ بأنّ هذا العهد والميثاق قد سقط نتيجة هذه الخيانة.

(الآية ٥٩) - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾: في معركة بدر كان من المشركين مَن قُتل كأبي جهلٍ وغيره، ومنهم مَن أُسر ومنهم من استطاع أن يهرب كأبي سفيان وغيره، فلا يعتقدون أبداً أنّهم استطاعوا بالسّبق أن يهربوا من القتال.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: فهم في قبضة المشيئة الإلهيّة وهم لا يعجزون الله تعالى هرباً.

(الآية ٦٠) - ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾:

هذه الآية الكريمة تتحدّث عن الإعداد للقوّة لمواجهة الاعتداءات والعدوان.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾: المطلوب الإعداد على قدر الطّاقة لكلّ

إنسانٍ، فالمطلوب أن تعدّ على قدر استطاعتك، وبعد ذلك يكون المدد ممّن له القوّة والنّصر، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: من الآية ١٠]، لكنّك في دنيا الأسباب فعليك أن تأخذ بالأسباب أوّلاً ولا بدّ من إعداد القوّة.

﴿مِّن قُوَّةٍ﴾: المطلوب إعداد ما استطعتم ليس من القوّة، فلو قال: من القوّة، لاختلف المعنى لكنّه قال ﷻ: ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾، عندما نكّرها فإذاً أنواع القوى كلّها؛ الاقتصاديّة والإعلاميّة والاجتماعيّة والعسكريّة.

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة، ألا إنّ القوّة الرّمي، ألا إنّ القوّة الرّمي، ألا إنّ القوّة الرّمي**»[1]، انظر إلى الإعجاز القرآنيّ فلو نظرنا إلى مسيرة الحياة البشريّة لوجدنا أنّ المعارك منذ القديم حتّى الآن تبدأ بالرّمي؛ أي من مكانٍ بعيدٍ، ففي عهد النّبيّ ﷺ كانت بالأسهم والرّماح وغيرهما، والآن أصبحت بالمدفعيّة والصّواريخ.. فالقوّة الأساسيّة هي الرّمي، وبعد ذلك رباط الخيل؛ أي المدرّعات؛ لأنّ المدرّعة والسّيّارات تُقاس على الأحصنة. فإعجاز ترتيب المعارك الّذي بيّنه القرآن الكريم ما زال حتّى الآن، أوّلاً الرّمي ثمّ رباط الخيل الّتي تسير على الأرض.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: هذا هو التّوازن الإستراتيجيّ، توازن الرّعب، فكثيرٌ من الدّول الآن تقيم حفلاً ضخماً لعرضٍ عسكريٍّ

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرّمي والحثّ عليه، الحديث رقم (١٩١٧).

تبيّن الأسلحة الّتي لديها لتمنع اعتداء الآخرين.

إنّ الله ﷻ لا يطالبنا بالقوّة لنعتدي على غيرنا، وإنّما يطالب ﷻ بالقوّة لسلامة المجتمع والحفاظ عليه، ونجد أنّ الإرهابيّين والقتلة والمجرمين يبترون الآية ويعدّونها الأساس في القتال والاعتداء على الآخرين، بينما الحقيقة أنّ الآيات تتعلّق بمنع الاعتداء، فالله ﷻ يريد سلامة المجتمع.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: أي سيأتون بعدهم وسيكونون لكم أعداءً، وهذا ما حدث لهذه الأمّة من أعداء متتاليين من التّتار والفرنجة ومن كلّ من جاء ليعتدي عليها، والآن الولايات المتحدة الأمريكيّة والغرب وإسرائيل امتدادٌ ليهود بني قريظة وخيبر.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: فإعداد القوّة يحتاج إلى المال والإنفاق، وهذا الإنفاق إنّما هو في سبيل الله ﷻ؛ لأنّه يُحافظ على البلاد والعباد، فإيّاك أن تعتقد أنّك ظُلمت عندما قدّمت بهذا الاتّجاه، فأنت تُنفق لسلامة المجتمع الإنسانيّ ولمنع الاعتداء.

(الآية ٦١) - ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾:

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾: الإسلام هو دين السّلام، فإن اتّجهوا ومالوا باتّجاه السّلم؛ أي السّلام فاجنح لها.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾: لكن مع الجنوح لها عليك أن تتوكّل على الله ﷻ؛ لأنّهم قد يبيّتون أمراً في السّرّ والخفاء، حتّى لا يكون هناك شائبةٌ بجنوحهم

إلى السّلام فيكون ذلك احتيالاً.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: فالله ﷻ هو السّميع العليم، يعلم ما تكنّ صدورهم.

(الآية ٦٢) - ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾:

قد يكون باطن هذه الدّعوات للسّلام خديعةً وتبييت مكرٍ في خفاء، فإن كان هذا هو قصدهم، فإنّ حسبك؛ أي كافيك الله ﷻ، وما دام الله ﷻ هو حسيب الرّسول ﷺ فلن يصلوا إليه ولن يضرّوه ولن يكون هناك أيّ أذىً من خلال اتّجاهه باتّجاه السّلام، كما حدث في صلح الحديبية عندما سالم النّبيّ ﷺ قريشاً.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: فالنّصر من عند الله ﷻ، وكلّ هذه الإعدادات هي أخذٌ بالأسباب البشريّة، فلا يقولنّ قائلٌ: حسبي الله أنا متوكّلٌ عليه، ولا يأخذ بالأسباب، هذا مرفوضٌ في الإسلام، قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾، وعن أنس بن مالك قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، أعقلها وأتوكّل، أو أطلقها وأتوكّل؟ قال: «**اعقلها وتوكّل**»[1]، فإذاً تأخذ بالسّبب وتتكّل على المسبّب.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: وهنا إستراتيجيّةٌ مُذهلةٌ، فنصر الله ﷻ وحده كافٍ، فما له بالمؤمنين؟ فنصر الله ﷻ يكون من غير

(١) سنن التّرمذيّ: صفة القيامة والرّقائق والورع، الحديث رقم (٢٥١٧).

أسبابٍ، فهو لا يحتاج لأحد ﷻ، ووجود المؤمنين إلى جانب رسول الله ﷺ هو سببٌ من أسباب النّصر الّتي أمرنا الله ﷻ باتّخاذها.

(الآية ٦٣) - ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾:

فالمجتمع إذا لم يكن متآلفاً على قلب رجلٍ واحدٍ مع وحدة الصّفّ والكلمة والهدف لا يمكن أن ينتصر.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: والإلف: هو الاجتماع مع التئامٍ، فقد كانوا يتقاتلون من أجل جملٍ ومن أجل بيت شعرٍ.. وكان هناك ضغينةٌ بين القبائل وتفرّقٌ هائلٌ، فلا تستطيع يا محمّد لا أنت ولا أيّ إنسانٍ من البشر أن يؤلّف بين قلوب هؤلاء المتفرّقين.

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾: لأنّ مُلك الأرض يستطيع أن يؤثّر على أيّ شيء إلّا على القلوب، لا تستطيع أن تدفع للإنسان مبلغاً كبيراً من المال وتقول له: أحبّني؛ لأنّ الحبّ لا يُشترى ولا يُباع، فلو تظاهر بالحبّ فإنّك لا تستطيع أن تؤثّر على قلبه.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾: فالقلوب بيد الله ﷻ، كما قال رسول الله ﷺ: «**إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرّحمن كقلبٍ واحدٍ يصرّفه حيث يشاء**»[1].

---

(١) صحيح مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله ﷻ القلوب كيف شاء، الحديث رقم (٢٦٥٤).

(الآية ٦٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: الله ﷻ يخاطب الأنبياء جميعاً بأسمائهم، ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾ [البقرة: من الآية ٣٥]، ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ [هود: من الآية ٧٦]، ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: من الآية ٤٦]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٤]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المائدة: من الآية ١١٠]، الأنبياء كلّهم بالاسم إلّا النّبيّ ﷺ يقول له: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: من الآية ٦٧]، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب]، أو يقول كما في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾، فالخطاب فيه مكانةٌ للنّبيّ ﷺ، فهو الرّسول الخاتم إلى البشريّة جمعاء، ولذلك كرّمه الله ﷻ بهذا الخطاب.

وعندما يقول: ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ فهو فيما يتعلّق بالرّسالة والتّنزيل، عندما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ فهو فيما يتعلّق بالسّلوكيّات.

﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أي: الله ﷻ هو حسبك وحسب من اتّبعك من المؤمنين، هذا تفسيرٌ، وهناك تفسيرٌ آخر أنّ الله ﷻ لا يحتاج للأسباب حتّى يأتيك بالنّصر، ولكن عليك الأخذ بالأسباب والّتي تتمثّل هنا بقوّة المؤمنين الموجودين معك، فهذه تصحّ وهذه تصحّ والله أعلم.

(الآية ٦٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾:

حَرِّضِ: حُثَّ، وشدّد الرّغبة فيه، فقد أمر الله ﷻ نبيّه أن يحرّض المؤمنين ويحمّسهم يوم معركة بدر على قتال المشركين؛ لأنّه كان هناك خيارٌ ما بين العير والنّفير، وكان عدد المسلمين قليلاً.

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾: واحدٌ مقابل عشرة، هذا معيارٌ إيمانيٌّ عالٍ جدّاً فالمعركة إيمانيّةٌ، والمؤمن بإيمانه بربّه وبرسالته يكون كما بيّن المعيار يُقابل عشرة.

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: لماذا لم يقل: واحدٌ مقابل عشرة، بشكلٍ مباشر؟ لأنّ عدد المشاركين بالمعارك والسّرايا يختلف، فهناك كتيبةٌ من عشرة صحابة، وهناك مجموعةٌ من عشرين.. فالله تعالى يبيّن هذه المجموعات الّتي كانت تقاتل في معركة بدرٍ الكبرى.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: أي: لا يفقهون ولا يعلمون ولا يؤمنون بأنّ هذه الحياة الدّنيا إنّما هي مزرعةٌ للآخرة، وأنّ هناك جنّةٌ ونار، لذلك المؤمن يكون ذا عزيمةٍ وشكيمةٍ أعظم من أولئك المشركين.

(الآية ٦٦) - ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾:

التّرخيص بالحكم بيّنه الله ﷻ بأنّ هناك طاقة قوّةٍ للمؤمنين في معركة بدر؛ لأنّها المعركة الأولى والفاصلة، لذلك واحدٌ يُقابل عشرة، بينما في المعارك الأخرى وفي الحالات العاديّة بعد مرور الزّمن سيكون واحدٌ مقابل اثنين، وهذا هو التّخفيف.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: علّة الغلبة هي الصّبر، والصّبر نصف الإيمان، وقال ﷻ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: من الآية ٤٥]، وهو أساسٌ في الانتصار، والإنسان إذا أدخل نفسه في معيّة الله ﷻ فلن يُغلب؛ لأنّ القوّة الّتي لا تُقهر تكون إلى جانبه، فالله ﷻ يكون ناصره ومعينه ومتولّيه ووكيله.

(الآية ٦٧) - ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾:

قلنا: بأنّ المعارك الّتي تمّت بين رسول الله ﷺ وبين المشركين إنّما كانت لردّ الاعتداء وليست من أجل نشر الدّين، ولم يؤذن للمؤمنين أن يقاتلوا إلّا عندما أُعتدي عليهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجّ: من الآية ٣٩]، وهذا القتال هو دفاعٌ عن النّفس والأرض والعرض والوطن، وهو أمرٌ مشروعٌ في قوانين السّماء والأرض كلّها، وبما أنّها الموقعة الأولى والمرّة الأولى الّتي يحدث فيها قتالٌ، فسيكون هناك أسرى، وقد اختُلف في موضوعهم، لذلك بيّن الله ﷻ لهم الحكم بعد الفعل:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لا بدّ من التّمكين في الأرض أوّلاً، ثمّ تكون هناك مبادلةٌ للأسرى، ليصبح للمؤمنين قوّةٌ توازي قوّة المشركين حتّى يكون الأمر بالفعل وردّ الفعل والمساواة.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: لا تبحثوا عن الأمر الدّنيويّ وعن عَرَضٍ زائل في الدّنيا، فالله جلّ وعلا يريد منكم أن تبحثوا دائماً عن الآخرة.

(الآية ٦٨) - ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾:

أي أنّ الله ﷻ كتب أنّه لا يُحاسب إلّا إذا بلّغ ووضّح وأمر ونهى وبعد ذلك يُحاسب، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: من الآية ١٥].

(الآية ٦٩) - ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾:

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: ما أخذتم من غنائم هو حلالٌ وطيّبٌ، فيحلّ لكم الأكل منه؛ لأنّكم غنمتموه في موقعة بدر.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وقبل كلّ شيءٍ، وبعد كلّ شيءٍ الأمر بتقوى الله تعالى؛ لأنّ تقوى الله ﷻ هي المحرّك الأساسيّ لقلوب المؤمنين، وهي أن تجعل الله ﷻ دائماً في خاطرك وبالك وتلتزم أوامره ﷻ، وتجعل بينك وبين صفات غضبه حاجزاً؛ أي ألّا تفعل ما يغضبه جلّ وعلا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: والله ﷻ يغفر الذّنوب ويرحم العباد وعطاؤه واسعٌ.

(الآية ٧٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾:

سبب النّزول: نزلت في سيّدنا العبّاس ﷺ عندما أُخذ منه الفداء عند أسره في غزوة بدرٍ.

(الآية ٧١) - ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾:

إن أرادوا خيانتك يا محمّد، وكانت النّيّة هي تبييت الخيانة وعدم الوفاء بالأمانة فإنّهم خانوا الله ﷻ عندما أشركوا به ﷻ عبادة الأوثان والأصنام.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل بدر بالكفر به ﷻ.

﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾: ومع ذلك فقد أمكن الله ﷻ منهم؛ أي بالأسر يوم بدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: هو يعلم من هو خائنٌ ومن سيخون ومن يُخفي ويبيّت الخيانة في نفسه.

(الآية ٧٢) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾:

يعدّد الله ﷻ في هذه الآية أصناف المؤمنين:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟﴾: المهاجرون الّذين تركوا ديارهم وأموالهم في مكّة وجاؤوا إلى المدينة.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وخرجوا يوم بدر وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾: الأنصار أهل المدينة الّذين آووهم ونصروهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: هذا ما كان فعلاً، فكلّ إنسانٍ من

الأنصار جعل من بيته وسكنه نصيباً لأخيه من المهاجرين، فكان كلٌّ منهم أحقّ بالآخر من كلّ أحدٍ؛ ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كلّ اثنين أخَوَان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدّماً على القرابة، حتّى نسخ الله ﷻ ذلك بالمواريث.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ﴾: الّذين آمنوا ولكن لم يهاجروا بل بقوا من أجل أموالهم.

﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾: لن تستطيعوا أن توالوهم حتّى يهاجروا ويكونوا في المدينة.

﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾: إن استنصروكم وأوذوا وعُذّبوا واضطهدوا في دينهم فعليكم أن تقوموا بنصرهم.

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾: إلّا إن كان هناك ميثاقٌ بينكم وبين من استنصروا عليهم؛ لأنّ الإسلام يؤمن بالمواثيق والعهود، فالإسلام ليس همجيّاً، وليس دين قتلٍ وإرهابٍ، فحتّى إن استنصروكم في الدّين فعليكم أن تنصروهم إلّا على قومٍ بينكم وبينهم معاهدات ومواثيق.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: الله ﷻ بصيرٌ بكلّ ما يجري في الكون، وهو مطّلعٌ على خائنة الأعين وما تخفي الصّدور.

(الآية ٧٣) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾: وهذا ما نراه من اليهود

ومشركي العرب في ذلك الوقت، كيف أنّهم تولّوا بعضهم بعضاً وناصروا بعضهم بعضاً في مواجهة الرّسول الكريم، كما نرى إسرائيل والولايات المتحدّة الأمريكيّة والغرب كيف يتناصرون علينا جميعاً، وهذا مِصداقٌ لقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾.

﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وتكونوا يداً واحدةً، بهذه اللُّحمة الإيمانيّة الّتي بيّنها الله ﷻ، فإنّه ستكون هناك فتنةٌ وفساد كبيرٌ؛ لأنّ هؤلاء المعتدين والمجرمين والقتلة من اليهود ومشركي العرب سيدخلون بينكم، وتُثبت أحداث التّاريخ صحّة القول القرآنيّ ففي كلّ يومٍ نجد إصبعاً لليهود ولأعداء الإسلام في الجرائم الّتي نراها ماثلةً أمام أعيننا، وفي كلّ ما يجري.

(الآية ٧٤) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾:

لمّا ذكر ﷻ حكم المؤمنين في الدّنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، وأنّه ﷻ سيجازيهم بالمغفرة والصّفح عن ذنوبهم، وبالرّزق الكريم وهو الحسن الكثير الطّيّب.

﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾: لهم مغفرةٌ من الله ﷻ، والرّزق يأتي للإنسان ولا يأتيه الإنسان، وقد يكون بالاستقامة أو بالأخلاق أو بالعلم أو قد يكون بأيّ أمرٍ من الأمور.

(الآية ٧٥) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾: لأنّه سيأتي أناسٌ لم يكونوا قد آمنوا.

﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾: هذا إخبارٌ عن المستقبل.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾: مثّل الله ﷻ الرّحم الإيمانيّة بالرّحم الحقيقيّة، وقد أولى الإسلام صلة الأرحام عنايةً خاصّةً، قال ﷺ: «**إنّ للرّحم لساناً ذلقاً يقول يوم القيامة: ربِّ صِلْ مَن وصلني، واقطعْ مَن قطعني**»(١)، أمّا الرّحم الإيمانيّة فقد قال عنها ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: من الآية ١٠]، فيجب أن تكون هناك هذه الأخوّة وهذه المحبّة الّتي تؤدّي إلى التّعاضد والتّكاتف والتّناصر كما قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**»(٢).

(١) شعب الإيمان: السّادس والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في صلة الأرحام، الحديث رقم (٧٩٣٦).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم (٢٥٨٦).

تفسير سورة (التوبة)

من الآية: (١ – ٩٢)

تفسير سورة (التّوبة) من الآية: ١-٩٢

لسورة التّوبة أسماءٌ متعدّدةٌ، وهي من أواخر السّور نزولاً، وهي الوحيدة من بين مئةٍ وأربعَ عشرةَ سورةً من سور القرآن الكريم الّتي لا تبدأ بـ (بسم الله الرّحمن الرّحيم)، ومن المعلوم أنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم هي أوّل آيةٍ في سورة (الفاتحة)، وسور القرآن الكريم كلّها لا بدّ أن تبدأها بالبسملة؛ وذلك لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**كلّ أمرٍ ذي بال لا يُبدَأ فيه ببسم الله الرّحمن الرّحيم فهو أقطع**»[1] أي ناقص، هذا أمرٌ، أمّا الأمر الآخر فأنت تقرأ القرآن الكريم بسرّ الله ﷻ فيه، تقرؤه باسم الله جلّ وعلا، فعندما نزل جبريل عليه السلام فأوّل كلمةٍ قالها: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [العلق]، إذاً (بسم الله الرّحمن الرّحيم) موجودةٌ في سور القرآن الكريم كلّها باستثناء هذه السّورة، والسّؤال الآن: لماذا لم تبدأ سورة (التّوبة) بـ (بسم الله الرّحمن الرّحيم)؟ قال العلماء: إنّ سورة التّوبة هي براءةٌ من عهود المشركين؛ لأنّ الله ﷻ تبرّأ هو والرّسول من عقود المشركين وعهودهم الّتي نكثوها؛ لذلك بدأت مباشرةً ببراءةٍ بلا بسملة، فالله ﷻ منع عنهم هذا الأمان، وبسم الله الرّحمن الرّحيم هي أمانٌ، والله أعلم بعدم ورود بسم الله الرّحمن الرّحيم.

ولهذه السّورة عدّة أسماء؛ فتسمّى:

- التّوبة: لنزول توبةٍ من الله ﷻ على الثّلاثة الّذين تخلّفوا عن الرّسول ﷺ في غزوة تبوك، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الرّبيع، وهلال

---

(١) طبقات الشّافعيّة الكبرى: الحديث رقم (٣).

ابن أميّة، حيث ندموا على تخلّفهم عن الرّسول ﷺ.

- براءة: لافتتاحها بالبراءة من عهود المشركين.
- الفاضحة: لأنّها تفضح أعمال المنافقين والمشركين.
- المقشقشة: القشقشة معناها التّبرئة، وتعني المبرّأة من النّفاق.
- المنقّرة: أي الكاشفة؛ لأنّها كشفت عمّا في قلوب المشركين والمنافقين.
- الحافرة: لأنّها تحفر في قلوب المنافقين.
- المبعثرة: لأنّها بعثرت ما في قلوب المنافقين.
- المثيرة: لأنّها أثارت عورات المنافقين.
- المشرّدة: الطّاردة للمنافقين المفرّقة لجمعهم.
- المنكّلة: يعني المعاقبة للمنافقين.
- المدمدمة: أي المهلكة.
- العذاب: لتكرّر ذكر العذاب فيها.

قال ابن عبّاس: مازال ينزل في هذه السّورة ومنهم ومنهم ومنهم حتّى خفنا ألّا يدع أحداً.

وكأنّ هذه السّورة تعقّبت حركة النّفاق في المجتمع، فرصدت المنافقين والمشركين واليهود ونقضهم العهود مع رسول الله ﷺ في معركة بدرٍ وأُحدٍ والخندق، بعد ذلك وقّع النّبيّ ﷺ صلح الحديبية مع المشركين وقد رآه خيراً للمسلمين، وأثبتت الأيّام صحّة ذلك مع أنّهم كانوا من القوّة ما يستطيعون

به أن يدخلوا مكّة عنوةً، عندما خرج النّبيّ ﷺ في العمرة الّتي سمّيت عمرة الحديبية ووصل لمشارف مكّة عند الحديبية، وجاء سهيل بن عمرو وحاور النّبيّ ﷺ وكتب بنود الصّلح، ودخل في عهد النّبيّ ﷺ الكثير من القبائل الّتي آمنت ودخل في عهد قريش الكثير من القبائل، فدخلت خزاعة مع النّبيّ ﷺ وبنو بكر مع قريش، ثمّ اعتدت بنو بكر بمساعدة قريش على خزاعة ليلاً، فجاء الشّاعر عمرو بن سالم الخزاعيّ إلى النّبيّ ﷺ فقال:

اللّهمّ إنّي ناشد محمّدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنّا والدا وكنت ولداً ثُمَّت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً عتدا وادعوا عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجرّدا إن سيم خسفا وجهه تربّدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكّدا وزعموا أن لست أدعو أحدا
فهم أذلّ وأقلّ عددا قد جعلوا لي بكداء مرصدا
هم بيّتونا بالوتير هجّداً فقتلونا ركّعاً وسجّدا

فقال رسول الله ﷺ: «**نصرت يا عمرو بن سالم**»، فما برح حتّى مرّت عنانة في السّماء فقال رسول الله ﷺ: «**إنّ هذه السّحابة لتستهلّ بنصر بني كعب**»، وأمر رسول الله ﷺ النّاس بالجهاز، وكتمهم مخرجه، وسأل الله ﷻ أن يعمي على قريش خبره حتّى يبغتهم في بلادهم، فجاءت تلك السّورة العظيمة لتنقض وتقطع العهود، وهي مقدّمةٌ لحجّة الوداع، فبعد

صلح الحديبية كان المسلمون يقومون بالحجّ وفيه المسلمون والمشركون، فعندما قطعت قريش الميثاق ونقضته واعتدوا على خزاعة وجرى ما جرى، عندها كان الصّدّيق رضي الله عنه قد خرج بوفد الحجّ إلى مكّة ضمن الميثاق فنزلت سورة براءة بنقض صلح الحديبية فأرسل النّبيّ صلى الله عليه وسلم سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه بسورة براءة ليتلوها علناً على النّاس في موسم الحجّ ويقطع هذه العهود مع قريش.

(الآية ١) - ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١﴾:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: عطف ﴿وَرَسُولِهِۦٓ﴾ على ﴿ٱللَّهِ﴾ بواو العطف؛ لأنّ البراءة هي براءةٌ من الله سبحانه وتعالى يبلّغها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وهذا يعطي الدّليل على عكس ما يُشاع عن الإسلام زوراً وبهتاناً وظلماً واعتداءً على دين الإسلام، فالإسلام يحترم المواثيق والعقود والعهود، وهو دعوة خيرٍ للبشريّة جمعاء، وسورة (التّوبة) تبدأ بهذا الكلام، فالله سبحانه وتعالى لا يريد أن يأخذهم بغتةً، وهذا هو دين الإسلام لا اعتداء ولا مكر ولا تآمر فيه.

ولا شكّ بأنّ بداية سورة التّوبة أعطت رسالةً رائعةً عن حقيقة الإسلام، على عكس ما يصوّره أعداؤه، فأولئك الّذين يتهجّمون على القرآن الكريم وما يتعلّق به إمّا أن يكونوا مرتبطين باليهود وأعداء الدّين والغرب، وإمّا أنّهم جهلة لا يفهمون شيئاً من كتاب الله سبحانه وتعالى.

(الآية ٢) - ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾:

﴿فَسِيحُواْ﴾: ساح: أي سار ببطء. كلمة (سيحوا) دليلٌ على إعطائهم راحتهم، ولم يقل: فرّوا واهربوا.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: أعطاهم أماناً أربعة أشهر.

بعض العلماء قال: المراد بـ ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ الأشهر الحُرُم، لكن أغلب العلماء قالوا: هذه الأشهر الأربعة حُدّدت عند نزول سورة (براءة) يوم قام سيّدنا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه بتلاوتها على النّاس جميعاً حين بعثه رسول الله ﷺ بها، فخاطب بها المؤمنين أوّلاً آمراً بقطع المواثيق والعهود مع المشركين، بعد ذلك عليكم أن تقولوا للمشركين: سيحوا في الأرض أربعة أشهر؛ أي خذوا راحتكم في الأرض أربعة أشهر.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾: أي ضعوا في أذهانكم.

﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾: لن تعجزوا الله ﷻ هرباً، ولن تستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، فهو القويّ والمتين والنّاصر والمعين.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الخزي هو الإذلال والفضيحة، وهذا ما تمّ فعلاً، فكان فتح مكّة وكانت خيبر وغيرها من المواقع، فكان كلّ ما قاله الله ﷻ عنهم وأخزاهم ﷻ.

(الآية ٣) - ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾:

﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾: الأذان هو إعلامٌ، إذاً هو إذاعة هذا الأمر؛ أي أنّ الأمر ليس سريّاً، بل للنّاس كلّهم، وهذا ما فعله سيّدنا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وهذا من عظمة ورحمة الإسلام واحترامه للإنسان.

﴿فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾: يفتح الإسلام دائماً باب التّوبة، وهو دعوةٌ للإصلاح وفتحٌ لباب الخير والرّحمة للنّاس، مع أنّ المواثيق والعهود قد نُقضت، فالله ﷻ أتبع البراءة من عهودهم بفتح باب التّوبة.

﴿وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: أعرضتم عن التّوبة وما رضيتم بذلك.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: لم يقل: (وأنذر الّذين كفروا بعذابٍ أليمٍ)، فهم لديهم المعايير مقلوبة، لذلك قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فهم لا ينظرون بالمنظار والمعيار الحقيقيّ، لذلك استخدم كلمة ﴿وَبَشِّرِ﴾ بمعنى: (وأنذر).

(الآية ٤) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: إلّا هنا استثناءٌ مشروطٌ، فقد أرسل النّبيّ ﷺ الإمام عليّاً كرّم الله وجهه بسورة براءة بقطع أنواع العقود والعهود كلّها مع مشركي قريش، والمقصود صلح الحديبية، وقد مرّت بنا في الآية السّابقة، وهنا المولى ﷻ استثنى من المشركين مَن لم يصدّوا عنكم التّجارة ولم يحاولوا أن يؤذوكم.

﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾: أي لم ينقصوا من أموالكم شيئاً.

﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا﴾: لم ينصروا أحداً من أعدائكم عليكم. إن وُجد أحدٌ من المشركين من بعض القبائل لم يفعلوا هذه الأفعال فأتمّوا العهد والميثاق، فلا ينقض المسلم العقود والمواثيق إلّا إذا نقضها الأعداء وخانوا أمانة العهود الّتي وُقِّعت.

﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾: أتمّوا العهد على المدّة الّتي اتّفقتم عليها على المواثيق الّتي وقعتموها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: والمتّقي هو الإنسان الّذي يفعل ما يأمره الله ﷻ به، والتّقوى هي جماع الخير في كلّ أمرٍ وفي كلّ نهيٍ.

(الآية ٥) - ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾:

يأخذ الإرهابيّون والتّكفيريّون والمتطرّفون والّذين يريدون أن يهاجموا القرآن الكريم على غير علمٍ ودرايةٍ وعلى غير معرفةٍ المعنى الّذي يريدون عكس ما جاءت به الآية تماماً.

﴿ٱنسَلَخَ﴾: الانسلاخ: ما يتمّ ببطء.

﴿ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾: الأشهر الحُرُم هي أربعةٌ: واحدٌ فردٌ وهو رجب، وثلاثةٌ سردٌ: ذو القعدة وذو الحجّة ومحرّم.

﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾: قد يعتقد بعض من يقرأ هذه

الآية بغير فهمٍ أنّ علّة القتل هنا الإشراك، وهذا غير صحيحٍ على الإطلاق، فعلّة القتال هي للاعتداء والعدوان وليس للإشراك، فعلينا أن نفهم المراد من خلال جوّ السّورة، فقد بيّن المولى ﷻ بأنّه يجب الالتزام بالمواثيق والعقود والعهود، ولكنّ المشركين نقضوا العقود والعهود، فأعطاهم فترة أربعة أشهر وبعد أن ترك لهم هذه المدّة أعلمهم بأن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر، وبعد ذلك يكون القتال؛ لأنّهم نقضوا العقود والعهود وخانوا وغدروا، ففي هذا الجوّ واجه الإسلام جبروت سادة العرب في أربع مراحل: المرحلة الأولى: كانت اضطهاد من قِبل سادة العرب وقريش للمؤمنين، المرحلة الثّانية: خداعٌ ومكرٌ، المرحلة الثّالثة: هي القتل من قِبلهم، والمرحلة الرّابعة: هي مرحلة نقض العهود، فالأمر بالقتال هنا للدّفاع؛ لأنّهم نقضوا العهود والمواثيق وقتلوا بني خزاعة غدراً، فلا بدّ من ردّ العدوان، فلا يحقّ لأحدٍ أن يبتر الآية من سياقها ومن أسباب نزولها ومن معانيها ومن جوّها.

﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾: أي تقيّدون حركتهم.

﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: أي ارصدوا كلّ حركةٍ وكلّ سكنةٍ وكلّ أمرٍ يتعلّق بهم؛ لأنّهم أعداء، وهم الّذين اعتدوا على المسلمين.

﴿فَإِن تَابُواْ﴾: فتح لهم باب التّوبة.

﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾: فإن تاب هؤلاء الّذين أخذتموهم والّذين حصرتموهم وعادوا إلى رشدهم –وعلامة التّوبة إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة– فخلّوا سبيلهم، فلا أحقاد في الدّين.

(الآية ٦) - ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾: أي طلب منك الحماية والجوار وهو مشركٌ.

﴿فَأَجِرْهُ﴾: أعطه الأمان.

﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: عندما تعطيه الأمان ويكون عندك لا بدّ أن تسمعه كلام الله ﷻ.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾: فإن رفض فعليك ألّا تقتله بل أوصله إلى المكان الّذي يؤدّي به إلى الأمان. هذا هو دين الأمان والسّلام والأمن والاطمئنان، وليس دين القتل والإرهاب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾: فهم لا يعلمون، فلا بدّ أن تعلّمهم فالعلم هو الطّريق الأساسيّ بالنّسبة للدّعوة إلى الله ﷻ، فالإسلام لم ينتشر بالسّيف ولا بالجزية، وإنّما انتشر بالقدوة، أي بالقيم والأعمال الصّالحة، وقد قال نبيّنا ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، الموطَّؤون أكنافاً الّذين يألفون ويؤلفون، وليس منّا من لا يألف ولا يؤلف**»[1]، هنا يتبيّن لنا من خلال هذه الآيات أنّ رصد الحركة والعقوبة تختلف باختلاف مواقع المشركين في تلك البيئة الّتي نزلت فيها هذه الآيات، فلا يأتينّ إنسانٌ ويأخذ هذه الآية ويبترها من مكانها وسياقها ويقول: واقتلوا المشركين كافّة

(١) المعجم الأوسط: ج٤، من اسمه عبد الله، الحديث رقم (٤٤٢٢).

حتّى يصلّوا، فهذا تحريفٌ للدّين.

(الآية ٧) - ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ٧﴾:

﴿كَيْفَ﴾: أي: تعجّب.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾: هم يعبدون الأوثان ولا أمانة لهم ولا أخلاق ولا عهد ولا ميثاق، فكيف يكون لهم عهدٌ عند الله وعند رسوله؟!

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أي أنّهم إذا استقاموا على العهد والمواثيق وعلى ما اتّفقوا معكم عليه فاستقيموا لهم مع أنّهم مشركون، فلا علاقة لموضوع الإشراك والعقيدة بالوفاء بالعهود، فإن استقاموا وأوفوا بالعهد فأوفوا بالعهد معهم.

(الآية ٨) - ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ٨﴾:

﴿كَيْفَ﴾: كرّر المولى ﷻ كلمة ﴿كَيْفَ﴾ لكنّه لم يكرّر التّعجب، وإنّما بيّن كيف يكون المشركون.

﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يتمكّنوا منكم.

﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا﴾: لا يرقبوا؛ أي: لا يراعوا فيكم إلّاً؛ أي قرابةً أو جيرةً أو رحماً، فهم كانوا أقرباء لهم، خرجوا من مكّة لا يراعون لا الجوار

ولا الرّحم ولا القرابة.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: أي ولا وفاء بالأمانة.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾: يتحدّثون معكم بألسنتهم غير ما يضمرون في قلوبهم من حقدٍ ومكرٍ وضغينةٍ على الإسلام وعلى أهل الإسلام.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: أي خارجون عن طاعة الله ﷻ.

(الآية ٩) - ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩﴾:

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: الدّنيا وما فيها ثمنٌ قليلٌ لتبيع آيات الله ﷻ بها، فمعنى اشترى؛ أي باع، فهم استرخصوا؛ لذلك باعوا هذا الدّين وهذه الآيات بثمنٍ قليلٍ.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: أي وقفوا حاجزاً أمام الدّعوة إلى الله ﷻ الّتي قام بها رسول الله ﷺ والصّحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعهم.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: إنّه عملٌ سيّءٌ قبيحٌ قذر، والعمل هو جمعٌ ما بين القول والفعل، إذاً أقوالهم وأفعالهم؛ أي أعمالهم كانت سيّئةً؛ لأنّهم اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وصدّوا عن سبيله ﷻ.

(الآية ١٠) - ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾:

القرآن الكريم له أسرارٌ وليس فيه تكرارٌ، فانظر إلى أيّ آيةٍ تعتقد أنّها

تكرّرت، اقرأها أكثر من مرّةٍ لتعلم أنّ فيها سرّاً وليس تكراراً، لاحظ الآية الّتي سبقتها: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾، وهنا يقول: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾، المرّة الأولى هي إخبارٌ من الله ﷻ عنهم بأنّهم لا يراعون لا الجوار ولا القرابة ولا الوفاء بالأمانة، وهنا يقول: بأنّ هؤلاء المشركين الّذين لا يراعون الجوار والقرابة والذّمّة والوفاء بالأمانة إنّما هم المعتدون، إذاً الاعتداء يبيّن أنّ علّة المشكلة هي عدوانهم.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾: لا يراعون لا حقّ الجوار ولا حقّ القرابة ولا حقّ صلة الرّحم ويخونون الأمانة، ويساعدون النّاس ضدّكم ويتآمرون مع أعدائكم.. فهذا هو الاعتداء.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: تذييل الآية يختلف عن الآية الأولى، في الأولى إخبارٌ من الله ﷻ بأنّهم فاسقون، وهنا يخبر عنهم بأنّهم معتدون.

(الآية ١١) - ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾:

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾: إنّ فتح باب التّوبة هو عمليّة إصلاحٍ، فلو أغلق الله تبارك وتعالى باب التّوبة لفُتح باب الجريمة على مصراعيه.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: وعلامة التّوبة الصّادقة هي إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة.

﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾: إن فعلوا ذلك أصبحوا معكم ومن إخوتكم، وكما قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**»(١).

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: وهنا ملحظٌ عظيمٌ نفصّل الآيات لقوم يريدون أن يعلموا؛ لأنّ هناك كثيرٌ من النّاس لا يريدون معرفة الحقيقة، فالله ﷻ يفصّل الآيات لقومٍ يريدون أن يعلموا، أمّا من أخذ موقفاً مسبقاً ولا يريد أن يعلم ولا يريد أن ينصاع إلى الحقّ فتفصيل الآيات لا يفيده، لوجود رانٍ على قلبه كما قال ﷻ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطفّفين].

(الآية ١٢) - ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾:

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾: أي لم ينفّذوا بنود العهد.

﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾: وعابوا في الدّين عيباً كبيراً، وهذا ما فعلته اليهود وقريش أيضاً فهم لا عهد لهم ولا عقد، وطعنوا في أمور المسلمين كلّها ونكثوا كلّ المواعيد والمواثيق الّتي مع رسول الله ﷺ، فجاء الأمر بالقتال.

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾: أئمّة الكفر: مجرمو الحرب؛ وهم الرّؤوس

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم (٢٥٨٦).

الأساسيّة الّتي حرّضت على قتال المسلمين، كأبي جهلٍ والوليد وأميّة بن خلف وغيرهم، وقد خرج النّبيّ ﷺ في بدر مع الفئة القليلة المؤمنة ليستردّوا أموالهم ولم يكونوا يريدون القتال، ففرّ أبو سفيان بالقافلة، لكنّ مشركي العرب في ذلك الوقت أصرّوا على أن يرسلوا جيشاً جرّاراً بقيادة أبي جهل عمرو بن هشام والوليد بن المغيرة، فهم أئمّة الكفر وأئمّة الضّلال، وهم مجرمو الحرب الّذين عذّبوا صُهيباً وبلالاً وآذوا النّبيّ ﷺ، فإذاً جاء الإذن بقتالهم فقاتلوهم.

﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾: لا عقد لهم ولا عهد؛ لأنّهم لا يوفون بهذه العهود. قد يتساءل إنسانٌ: ما دام الله ﷻ يعلم أنّهم لا أيمان لهم ولا عهود فلماذا يأمر ﷻ رسوله ﷺ أنّ يوقّع الاتّفاقيّات معهم كصلح الحديبية، ويوقّع الاتّفاقيّة مع اليهود في المدينة المنوّرة؟ الجواب: أنّ الله ﷻ هنا يُشرّع، والإنسان يعيش في دنيا الأسباب، صحيحٌ عليه أن يتكّل على المسبّب، لكن في دنيا الأسباب يريد الله ﷻ من المسلمين أن يوقّعوا اتّفاقيّات وعهود وتعاون وإشاعة الخير والسّلام، فعلم الله ﷻ هو علمٌ كاشفٌ، أمّا نحن في الدّنيا فمأمورون بأن نأخذ بالأسباب كلّها، والله ﷻ يعلم ما يبيّتون.

(الآية ١٣) - ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة تحضيض.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾: قريش نكثت العهود كلّها وأخرجت النّبيّ ﷺ من مكّة، وكذلك اليهود فعلوا الفعل ذاته، وهم نكثوا أيمانهم وأرادوا إخراج الرّسول ﷺ من المدينة المنوّرة، فهي تنطبق على مشركي العرب من قريش وتنطبق على اليهود.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: فالإسلام لم يبتدئ أحداً بالحروب والقتال بل كان الرّسول ﷺ والمؤمنون معه في حالة الدّفاع عن النّفس، والاعتداء يكون من الغير، إذاً أوّل مرّةٍ أخرجوه من مكّة وثاني مرّة أرادوا إخراجه من المدينة المنوّرة، لذلك عندما أراد الله ﷻ أن يحضّ المؤمنين على القتال ومواجهة المشركين في بدر قال لهم: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، هذا كلّه ليتبيّن للنّاس حقيقة أنّه لم يكن هناك اعتداءٌ من المسلمين في أيّ حالٍ من الأحوال، ولا في أيّ زمنٍ من الأزمان.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: هذا استفهامٌ استنكاريٌّ، أيعقل أن تخافوا منهم؟!

﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: الإنسان المؤمن بالله ﷻ يعلم بأنّ الله ﷻ غالبٌ على أمره وأنّه ﷻ على كلّ شيءٍ قدير، وأنّه لا يضرّ ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ولا يصل ولا يقطع ولا يخفض ولا يرفع إلّا الله تعالى، وأنّ ما نراه في هذه الدّنيا من مظاهر هي أسباب الله ﷻ في خلقه، لذلك فإنّ النّبيّ ﷺ قال لابن عبّاس في الحديث المعروف: «يا

غلام، إنّي أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصّحف»[1].

وهذا هو معنى الإيمان الحقيقيّ، بأنّه لا يجتمع في قلب عبدٍ مخافتان، إمّا أن تخاف الله ﷻ وإمّا أن تخاف من خلق الله ﷻ، وهنا المعيار الإيمانيّ لذلك جاء الاستفهام الاستنكاريّ: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

(الآية ١٤) - ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾:

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾: الله ﷻ ليس بحاجةٍ أن يُعذّبهم بأيدي المؤمنين، فهو قادرٌ على أن يُنزل عليهم عذاباً من السّماء ويُريح المؤمنين منهم، لكنّ سنّة الله ﷻ في خلقه أن يكون هناك أسبابٌ في الدّنيا، لذلك طلب إعداد القوّة لإرهاب الأعداء، ثمّ يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ لكنّه ﷻ يطلب الأخذ بالأسباب.

﴿وَيُخْزِهِمْ﴾: الخزي؛ أي الفضيحة؛ لأنّ بعضهم كأبي جهل والوليد وغيرهم الخزي بالنّسبة لهم كالعذاب بل أشدّ.

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب صفة القيامة والرّقائق والورع عن رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٢٥١٦).

﴿وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾: كعبد الله بن مسعود وسيّدنا بلال وغيرهم من المؤمنين الأوائل الّذين عُذّبوا وكانت صدورهم مجروحةً من كثرة العذاب والإيلام فشفى الله ﷻ هذه الصّدور من خلال موقعة بدر.

(الآية ١٥) - ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾:

﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾: ويُذهب الله ﷻ بهذه المعركة العظيمة وهذا الانتصار السّاحق الّذي تحقّق يوم بدر غيظ السّنوات كلّها الّتي مرّت من الحصار والعذاب والاضطهاد والقتل والإيلام الّذي مارسته قريش خلال فترة وجود النّبيّ ﷺ في مكّة.

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾: لا يستطيع على هذا الكلام إلّا ربٌّ؛ لأنّ النّاس والبشر عندهم انتقامٌ وردّ العدوان، أمّا الله ﷻ فإنّه يفتح باب التّوبة لعباده دائماً؛ لأنّه يريد أن يسدّ منافذ الجريمة في المجتمعات، فمن ارتكب القتل والسّرقة وغيرهما من الآثام وأغلق أمامه باب التّوبة فإنّه سيستمرّ في جرائمه، أمّا دعوة الإصلاح فهي فتح باب التّوبة حتّى يرجع الإنسان عن غيّه وعن جرائمه ويعود صالحاً فيصلح بذلك المجتمع.

(الآية ١٦) - ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾:

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ﴾: أم هنا إضرابيّة؛ أي ما كان الله ﷻ أن يترككم من غير اختبار.

﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ﴾: هذا علم الحجّة، فالله ﷻ يعرف ولديه علمٌ كاشفٌ، لكنّ الله ﷻ لا يحاسب النّاس على علمه الأزليّ الكاشف، وإنّما يُحاسبهم على أعمالهم، فعندما يقول ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران]، هذا علم الحُجّة على النّاس يوم القيامة.

﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: وليجة على وزن فعيلة؛ أي بطانة سوءٍ، فقد كان هناك أقرباء وصلات رحم بين المشركين في مكّة المكرّمة وبين المسلمين الّذين ذهبوا إلى المدينة المنوّرة، إضافةً إلى حركات النّفاق الّتي بدأت تظهر في المجتمع بعد أن دخل في الإسلام عددٌ من القبائل العربيّة وقويت شوكة الإسلام، لذلك لا بدّ من أن يكون هناك اختبارٌ إيمانيٌّ، فالإنسان يتعرّض للابتلاءات وهذه سنّة الله ﷻ في خلقه، وهنا أراد الله ﷻ أن يقول لهم: إيّاكم أن تعتقدوا أنّكم ستتركون قبل أن يجعل الله تعالى حُجّةً عليكم ببيان فحوى إيمانكم.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: لأنّه لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السّماء، فهو يعلم السّرّ وأخفى.

(الآية ١٧) - ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾:

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾: ما ينبغي للمشركين.

﴿أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: إمّا المراد عمارة الإنسان؛ أي يكون هو من

يجلس داخلها ويعبد الأوثان، أو المراد بالعمارة الاهتمام بشؤون البيت الحرام.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾: المسجد هو مكان تأديّة العبادة لله سُبحانه وتعالى، والبيت الحرام هو أوّل بيتٍ وضع للنّاس، كما قال سُبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ [آل عمران]، فما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله جلّ جلاله، فهم لا يؤمنون به سُبحانه وتعالى فكيف سيعمرون مساجده جلّ وعلا بشكلٍ عامّ، والمسجد الحرام بشكلٍ خاصّ؟

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: أي مهما عملوا من سقاية الحاجّ ورعاية الأمور المتعلّقة بالبيت الحرام فهذه الأعمال كلّها ستذهب هباءً، فقد حبطت أعمالهم وأصبحت لا قيمة لها.

(**الآية ١٨**) - ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾:

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: إمّا عمارة الإنسان وإمّا عمارة البنيان للمساجد، وبناء السّاجد هو الأهمّ، بناء الإنسان، وبناء القيم والأخلاق فيه، فعمارة المساجد؛ أي ارتيادها، أن يعمرها زوّارها فمن الّذي يعمرها؟

﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: أركان الإيمان هي أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشرّه، وبما أنّ الله سُبحانه وتعالى قال: بأنّه من آمن بالله جلّ جلاله، فالإيمان بالله سُبحانه وتعالى اختصر معاني الإيمان كلّها،

ثمّ جاء إلى نهاية الأمر وهو اليوم الآخر الّذي سيُحاسب فيه الإنسان على ما قدّم وعلى صحّة إيمانه؛ لأنّ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق**»[1]، كما قال النّبيّ ﷺ.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: إقامة الصّلاة هي إعلان استدامة ولاءٍ لله ﷻ، وهي الرّكن الّذي لا يسقط عن المسلم، وهي عماد الدّين قال النّبيّ ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصّلاة**»[2]، وإقامة الصّلاة هي أداؤها بأركانها وشروطها وفرائضها وسننها وقبلتها ووضوئها وطهارتها كما أمر بها النّبيّ ﷺ، إذاً فقد أتى بركنين اثنين من أركان الإيمان؛ الإيمان بالله واليوم الآخر، وأتى بركنين من أركان الإسلام؛ إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة؛ لأنّ الزّكاة هي برهانٌ على صحّة الإيمان.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أمرٌ طبيعيٌّ من يقوم بهذه المهامّ الإيمانيّة كلّها أن يكون لا يخشى إلّا الله ﷻ، لماذا قال ﷻ: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ في هذا الموضع؟ الجواب: لأنّ كثيراً ممّن يعتقد أنّه يقوم ببناء المساجد يحبّ أن يُعرَف ويتباهى بأنّه بنى المساجد ويقول ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجنّ]، لذلك يجب أن يكون العمل خالصاً لوجه الله ﷻ، فمن يعمر مساجد الله ﷻ هو من يؤمن بالله واليوم الآخر ويقيم الصّلاة ويؤتي

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

(٢) سنن النّسائيّ: كتاب التّفسير، باب سورة السّجدة، الحديث رقم (١١٣٩٤).

الزّكاة، وأهمّ شيءٍ أنّه لا يخشى إلّا الله ﷻ، ويعلم أنّ القوّة بيد الله ﷻ وأنّ الضّرّ والنّفع لا يمكن أن يأتيه إلّا بإذن الله ﷻ.

(الآية ١٩) - ﴿*أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾:

﴿*أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: من المعلوم بأنّ قريشاً كانت تتقاسم أمور رعاية الكعبة والحجّاج بين بطونها، كسقاية الحجّاج وسدانة الكعبة، فكان العبّاس بن عبد المطّلب هو الّذي يمسك سقاية الحجّاج وهذا شرفٌ عظيمٌ في ذلك الوقت، وأمّا مفتاح الكعبة فكان بيد طلحة بن شيبة.

سبب النّزول: نزلت في عليّ بن أبي طالب ﷺ والعبّاس وطلحة بن شيبة، حيث تفاخر كلّ واحدٍ منهم، فقال العبّاس: أنا صاحب السّقاية، وقال طلحة: أنا عندي مفاتيح البيت، وأمّا عليّ ﷺ فقال: أنا صاحب الجهاد، وقد صلّيت نحو البيت قبلكم ستّة أشهر.

﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾: (العنديّة)؛ أي ما عند الله ﷻ، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: من الآية ٦٠]، وليس ما عند البشر.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هم منعوا الهداية عن أنفسهم عندما ظلموا النّاس وظلموا أنفسهم.

(الآية ٢٠) - ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾: المهاجرون الأوائل لهم السّبق؛ لأنّهم تحمّلوا وكانوا هم حملة الإسلام الأوائل، والّذين تركوا الدّيار والأموال في سبيل الله تعالى وهاجروا من مكّة إلى المدينة المنوّرة مع رسول الله ﷺ.

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كناية عن معركة بدرٍ وأُحد والخندق.

﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾: فالجهاد يكون بالنّفس والمال من أجل تجهيز أمور القتال.

﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: هؤلاء لهم الدّرجة المفضّلة والأولى.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: أولئك: الإشارة إلى المؤمنين المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله ﷻ فلهم الفوز والفلاح عند الله ﷻ.

(الآية ٢١) - ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١﴾:

﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾: إضافةً للفوز الّذي حقّقوه في موقعة بدر فإنّ لهم بشرى أخرى، وهي رحمة الله ﷻ ورضوانه، وهي الأساس في دخولهم الجنّة؛ لأنّهم لا يدخلون الجنّة بأعمالهم ولا بجهادهم ولا بإنفاق أموالهم، بل يدخلونها برحمة الله ﷻ، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**لا يدخل أحدكم الجنّة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلّا أن**

يتغمّدني الله منه برحمة وفضل»[1]، بمجرّد أنّ الله ﷻ جعل الجنّة ثواباً لمن قدّم وعمل صالحاً في الدّنيا فهذه رحمةٌ من الله ﷻ.

﴿وَرِضْوَانٍ﴾: والرّضوان هو أن يرضى الله ﷻ عنهم فلا يسخط بعدها أبداً، قال ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنّة، فيقولون: لبّيك ربّنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربّ، وأيّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[2].

﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: ليست جنّةً واحدةً، بل جنّاتٍ فيها نعيمٌ دائمٌ، فالنّعيم المقيم هو النّعيم الدّائم، أمّا نعيم الدّنيا فزائلٌ والإنسان فيها زائلٌ أيضاً، فهو منذ ولادته يسير إلى نهايته.

(الآية ٢٢) - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾:

المولى ﷻ يبيّن بأنّ هذه الجنّات الّتي أعدّها للمؤمنين وهذا الرّضوان العظيم وهذه الرّحمة الكبيرة وهذا العطاء غير المتخيّل من قِبل الإنسان في الآخرة هم خالدون فيه أبداً، فلا يتركك النّعيم ولا تتركه أبداً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: هذا الأجر العظيم وهذا الثّواب وهذا النّعيم المقيم والعطاء الخالد الدّائم جعله الله ﷻ للإنسان على ما قدّمه في

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (٧٤٧٣).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب صفة الجنّة والنّار، الحديث رقم (٦١٨٣).

الحياة الدّنيا، وعلى ما نفّذه من أوامر الله ﷻ، وانتهى عن نواهيه.

(الآية ٢٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾:

هنا في جوّ الهجرة وجوّ أوّل لقاءٍ مسلّحٍ يتمّ بين الرّسول الكريم وبين المشركين الّذين هم أهله وعشيرته وأهل المهاجرين في مكّة، يقول الله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾: الخطاب للّذين آمنوا وهاجروا في ذلك الوقت بأنّه لا يجب أن تكون ولايتكم للمشركين وإن كانوا من آبائكم أو إخوانكم وعشيرتكم، فالوليّ هو الّذي يلجأ إليه الإنسان في كلّ أمرٍ، فيجب ألّا تولّوهم.

﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾: قال: ﴿ٱسۡتَحَبُّواْ﴾ ولم يقل: (أحبّوا) لماذا؟ لأنّ استحبّ فيها افتعال الحبّ، بينما الإيمان يكون بالفطرة، فالإنسان يولد مؤمنٌ بالفطرة، فعندما يستحبّ الكفر فهناك افتعالٌ، ولو تركوا الأمر لحبّهم ولهواهم ولقلبهم لاختاروا الإيمان على الكفر، أمّا لو قال: أحبّ، فيكون من غير افتعال.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لأنّهم علموا الإيمان وعلموا الحقيقة وعلموا بأنّ الله ﷻ هو الخالق والمدبّر وهو الّذي يجب أن يُطاع، فإن اتّبعوا هؤلاء المشركين الّذين يعبدون الأصنام والأوثان فقد ظلموا أنفسهم.

(الآية ٢٤) - ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾:

﴿ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: أي حصلتم عليها بمشقّة، حصلتم عليها بتعبكم فتكون هذه الأموال عزيزةً عليكم أكثر من مال الميراث الّذي يأتي من غير تعب.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: تجارةٌ؛ أي مالٌ مؤجّل.

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾: كلّ ما يتعلّق بما يهواه الإنسان ويحبّه من هذه الحياة الدّنيا عدّده المولى ﷻ.

هم اختاروا الله ﷻ والرّسول ﷺ فكان هناك اختيارٌ، إمّا أن يتركوا مكّة ويختاروا الله ﷻ ورسوله الكريم وإمّا أن يختاروا أموالهم وتجارتهم الّتي يخشون كسادها وديارهم وعشيرتهم، هذا هو المعنى الحقيقي للهجرة؛ لذلك فإنّ النّبيّ ﷺ قال: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيّةٌ**»[1]، وفي الحديث الصّحيح الّذي اعتبر نصف الدّين: «**إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو إلى امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[2]، فهنا بيّن المولى ﷻ الميزان بكلّ ما

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجهاد والسّير، باب وجوب النّفير وما يجب من الجهاد والنّيّة، الحديث رقم (٢٦٧٠).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (١).

يتعلّق بالدّنيا والهجرة إلى الله ﷻ ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله جلّ وعلا.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: معناها الانتظار الشّديد.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: أي الخارجين عن طاعته ودينه، فهم اختاروا عدم الطّاعة فوجب عليهم عدم الهداية.

(الآية ٢٥) - ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥﴾:

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾: في بدر والخندق وفتح مكّة وفي مواطن كثيرة، مواطن: جمع موطن وهو ما استوطن فيه، وهنا تأتي بمعنى الموقعة.

﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾: بعد فتح مكّة أصبح تعداد المؤمنين كبيراً، وكانت غزوة حنين بعد فتح مكّة، فأُعجب بعض المسلمين بكثرتهم وقالوا: لن نُغلَب اليوم عن قلّة، إذاً هنا تعلّقوا بالسّبب وتركوا المسبّب، وهذا وصفٌ يسيرٌ لما جرى يوم حنين، حيث اجتمعت قبائل هوازن وثقيف واختاروا مالك بن عوف ليكون القائد في هذه المعركة، واستطاع مالك بن عوف أن يجمع أربعة آلاف مقاتل وانضمّ إليه عددٌ من الأعراب المحيطين بهم، ووضع مالك خطّته على أساس أن يخرج الجيش ومعه ثروات المشاركين بالجيش من مالٍ وبقر وإبل وأن يخرج معهم النّساء والأطفال؛ وذلك حتّى يدافع كلّ واحدٍ منهم عن عرضه وماله فلا يفرّ من

المعركة، ويستمرّ في القتال بشجاعةٍ وعنف؛ لأنّه يدافع عن كلّ ما يملك، وبذلك وضع العوامل كلّها الّتي تضمن له النّصر، واجتمع المشركون ونزلوا بوادٍ يسمّى وادي أوطاس، وهو بين مكّة والطّائف، وفيهم رجلٌ كبير السّنّ ضريرٌ اسمه دريد بن الصّمّة، كان رئيساً لقبيلة جشم، ولمّا وصل إلى مكان المعركة سأل: بأيّ أرضٍ نحن؟ فقالوا: نحن بوادي أوطاس فابتسم وقال: لا حزن ضرس ولا سهل دهس؛ أي أنّها أرضٌ ليست مناسبةً وفيها أحجارٌ مدبّبةٌ تتعب مَن يسير عليها، لكنّ مالكاً أصرّ على خطّته وعندما جاء جيش المسلمين لم ينتبهوا إلى وجود الكفّار المتوارين عن الأعين، وحينئذٍ أعطى مالك بن عوف إشارة البدء بالهجوم، فخرج المشركون من كلّ مكانٍ وفاجؤوا المسلمين بهجومٍ شديدٍ، فما لبث المسلمون أمامهم إلّا زمناً قصيراً، حتّى أنّه من قسوة المعركة وضراوتها ومن قوّة المفاجأة انهزم جيش المسلمين في السّاعات الأولى للمعركة، ولم يبق مع رسول الله ﷺ في ساحة المعركة إلّا تسعة بينهم العبّاس عمّ الرّسول ﷺ والإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه وأيمن ابن أمّ أيمن، وعددٌ من الصّحابة، وهنا نتساءل لماذا حدثت هذه الهزيمة في بداية موقعة حنين؟ الجواب: لأنّهم عندما خرجوا قالوا: لن نهزم اليوم من قلّة، وبذلك ذهبوا إلى الأسباب وتناسوا المسبّب، فأراد الله ﷻ أن يعاقبهم على ذلك ويُعلي من قدر رسول الله ﷺ في الوقت ذاته، قال العبّاس رضي الله عنه: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب رسولَ الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ

على بغلةٍ له بيضاء أهداها له فروة بن نعامة الجذاميّ، فلمّا التقى المسلمون والكفّار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته قِبَل الكفّار، قال العبّاس: أنا آخذٌ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفّها إرادة ألّا تسرع وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أي عبّاس، ناد يا أصحاب السّمرة**»، فناديتهم، قال: فوالله لكأنّما عطفتهم حين ما سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيكاه يا لبيكاه، قال: فاقتتلوا هم والكفّار، والدّعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، ثمّ قصرت الدّعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ هذا حين حَمي الوطيس قال: ثمّ أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهنّ في وجوه الكفّار ثمّ قال: «**انهزموا وربّ محمّد**»، فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، والله ما هو إلّا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته فما زلت أرى جدّهم كليلاً وأمرهم مدبراً[1].

قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنه: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله لم يفرّ، إنّ هوازن كانوا قوماً رماة، وإنّا لمّا لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسّهام فأمّا رسول الله ﷺ فلم يفرّ، فلقد رأيته وإنّه لعلى بغلته البيضاء وإنّ أبا سفيان

(١) المستدرك على الصّحيحين: ج٣، ص٣٧٠، الحديث رقم (٥٤١٨).

آخذ بلجامها والنّبيّ ﷺ يقول: «**أنا النّبيّ لا كذب، أنا ابن عبد المطّلب**»[1]؛ أي أنّ الله ﷻ لن يتخلّى عنه ولن يخذله أبداً فهو رسوله عليه الصّلاة والسّلام، ولم يثبت أمام المؤمنين أحدٌ من هوازن وثقيف وانتهت المعركة بانتصارٍ حاسمٍ وغنائم كثيرةٍ وأموالٍ لا حصر لها، وانطلق جيش المسلمين للطّائف ليطارد الفارّين واختبأ مالك بن عوف قائد العدوّ ثمّ عاد رسول الله ﷺ بعد ذلك وقسّم الغنائم، وكاد تقسيم الغنائم أن يُحدث فتنةً بين المسلمين؛ لأنّ رسول الله ﷺ أعطى الغنائم للمؤلّفة قلوبهم ولسائر العرب ولم يعط منها الأنصار، عندما أعطى الرّسول ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ، وجد حيٌّ من أحياء الأنصار في أنفسهم حتّى كثرت فيهم القالة، عن أبي سعيدٍ قال: لمّا قسم رسول الله ﷺ السّبي بالجعرّانة أعطى عطايا قريش وغيرها من العرب ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ فكثرت المقالة وفشت حتّى قال قائلهم: أمّا رسول الله لقد لقي قومه، فأرسل إلى سعد بن عبادة فقال: «**ما مقالة بلغتني عن قومك أكثروا فيها؟**»، فقال له سعد: فقد كان ما بلغك، قال: «**فأين أنت من ذاك؟**»، قال: ما أنا إلّا رجلٌ من قومي، فاشتدّ غضبه وقال: «**اجمع قومك ولا يكن معهم غيرهم**»، فجمعهم في حظيرة من حظائر السّبي وقام على بابها وجعل لا يترك إلّا من كان من قومه، وقد

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجهاد والسّير، باب من قاد دابّة غيره في الحرب، الحديث رقم (٢٧٠٩).

ترك رجالاً من المهاجرين وردّ أناساً، ثمّ جاء النّبيّ ﷺ يُعرَف في وجهه الغضب فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله؟**»، فجعلوا يقولون: نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم عالة فأغناكم الله؟**»، فجعلوا يقولون: نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، قال: «**ألا تجيبون؟**»، قالوا: الله ورسوله أمنّ وأفضل، فلمّا سري عنه قال: «**ولو شئتم لقلتم فصدقتم: ألم نجدك طريداً فآويناك، ومكذّباً فصدّقناك، وعائلاً فآسيناك، ومخذولاً فنصرناك؟**»، فجعلوا يبكون ويقولون: الله ورسوله أمنّ وأفضل، ثمّ قال: «**أوجدتم من شيء من دنيا أعطيتها قوماً أتألّفهم على الإسلام ووكلتكم إلى إسلامكم؟ لو سلك النّاس وادياً أو شعباً لسلكت واديكم وشعبكم، أنتم شعارٌ والنّاس دثارٌ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار**»، ثمّ رفع يديه حتّى إنّي لأرى ما تحت منكبيه فقال: «**اللّهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار، أما ترضون أن يذهب النّاس بالشّاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟**»، فبكى القوم حتّى أخضلوا لحاهم وانصرفوا وهم يقولون: رضينا بالله وبرسوله حظّاً ونصيباً[1]، ما أجمل وما أعظم هذا الموقف يوم حنين من رسول الله ﷺ

(١) كنز العمّال: كتاب الجهاد والسّير، ج١٤، الحديث رقم (٣٧٩٣٩)، اخضلوا: اخضلّ الشّيء أي ابتلّ.

سيّد الوفاء عندما خاطب الأنصار في ذلك الخطاب المؤثّر الجامع العظيم.

(الآية ٢٦) - ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾:

بعد الهزيمة الأولى أنزل الله ﷻ السّكينة على رسول الله ﷺ، وأنزل الله ﷻ جنوداً لم تروها كانت تقاتل إلى جانبهم، وليس كلّ ما لا نراه غير موجود، وليس ذلك على الله بعزيز.

(الآية ٢٧) - ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾:

أبواب التّوبة دائماً مفتوحة، وباب التّوبة لا يغلق أبداً ما لم يغرغر الإنسان كما قال ﷺ: «**إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١)، ولا يريد الله ﷻ للجريمة ولا للإشراك أن يستشري في أيّ مجتمع.

(الآية ٢٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾:

﴿نَجَسٌ﴾: شيءٌ خبيثٌ لفساد بواطنهم.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾: أي لا يدخلوا الحرم.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾: وهو العام التّاسع من الهجرة.

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند عبد الله بن عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، الحديث رقم (٦١٦٠).

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾: فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم.

عن حميد بن عبد الرّحمن أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجّة في مؤذّنين يوم النّحر نؤذّن بمنى ألّا يحجّ بعد العام مُشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرّحمن: ثمّ أردف رسول الله ﷺ عليّاً – كرّم الله وجهه– فأمره أن يؤذّن بـ (براءة). قال أبو هريرة: فأذّن معنا عليٌّ في أهل منى يوم النّحر لا يحجّ بعد العام مُشرِك ولا يطوف بالبيت عريان[1].

فقد مُنع المشركون من دخول المسجد الحرام، نتيجة نجاستهم الفكريّة والمعنويّة، فالمسجد الحرام قبلة المسلمين، وهو أوّل بيتٍ وُضع للنّاس لعبادة الله ﷻ، فلا بدّ من تطهيره من مظاهر الشّرك.

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾: وإن خفتم فقراً لانقطاع تجارتهم عنكم فإنّ الله ﷻ سيعوّضكم عنها ويكفيكم من فضله إن شاء ﷻ، وقد أثبتت الأيّام صحّة ما جاء في كتاب الله ﷻ، وكيف بارك الله ﷻ لهم بالرّزق استجابةً لدعوة سيّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦].

سبب النّزول: عن سعيد بن جبير قال: لمّا نزلت: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾، شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: من يأتينا بطعامنا، ومن يأتينا بالمتاع؟ فنزلت: ﴿وَإِنۡ

(١) صحيح البخاريّ: أبواب الصّلاة في الثّياب، باب ما يستر العورة، الحديث رقم (٣٦٢).

خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: فهو عليمٌ بحالكم، حكيمٌ في تدبير شؤونكم.

(الآية ٢٩) - ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾:

الآيات المتعلّقة بأهل الكتاب تؤخذ على منحى عقديّ ومنحى سلوكيّ، والإسلام وضع قاعدةً للتّعامل مع أهل الكتاب، فقال ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة: من الآية ٨٢]، أمّا ما يتعلّق بالعقائد، فلا شكّ أنّ هناك خلافاً بيننا وبينهم، ولكنّنا نعود إلى الآية المحكمة الّتي تقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]، ومن خلال استعراض كتاب الله ﷻ وسنّة رسوله الكريم ﷺ نجد أنّ الإسلام لم يكره أهل الكتاب على الدّخول في الإسلام، بل تركهم وأباح النّواج من نسائهم وأكل طعامهم، ودعوته ليست قائمةً على الإجبار والإكراه، فقال ﷻ مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النّحل]، بالحكمة والموعظة وليس بالقتل والإكراه، ولكن عندما يقول: ﴿قَٰتِلُوا۟﴾، إذاً هناك طرفٌ معتدٍ يُقاتل،

فعليكم أن تردّوا اعتداءه.

﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾: نقف عند كلمة الجزية، وهي ضريبةٌ ضئيلةٌ مقابل تأمين الإسلام لهم ما يحتاجونه في حياتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة، ولم يكن المبلغ المدفوع للجزية كبيراً تعجز عن دفعه الرّجال، بل كان ميسوراً، لم يتجاوز على عهد النّبيّ ﷺ الدّينار الواحد في كلّ سنةٍ، فإن شئتم سمّوها جزيةً أو ضريبةً أو صدقةً كما فعل سيّدنا عمر مع بني تغلب النّصارى، وهي أكبر دليلٍ على حريّة الاعتقاد في الإسلام، فمن شاء فليدخل في الإسلام ومن شاء يبقى على دينه، وإن شاء البقاء ضمن دار الإسلام، الّتي تكفّلت بتأمين الحماية والرّعاية له، يبقى مُقابل مبلغٍ ضئيلٍ يُقدّمه وهو الجزية، وقد أمر الله ﷻ في كتابه ونبيّه ﷺ في سنّته بالإحسان لأهل الجزية وحسن معاملتهم، فقد حثّ القرآن الكريم على البرّ والقسط بأهل الكتاب المسالمين الّذين لا يعتدون على المسلمين بقوله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة]، وقال ﷺ: «**ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ فأنا حجيجه يوم القيامة**»[1]، وهي لا تؤخذ منهم إلّا عند وجود القدرة الماليّة عليها.

وحين عجز المسلمون عن أداء حقوق أهل الذّمّة وحمايتهم من

(١) سنن أبي داوود: كتاب الخراج، باب ٣٣، الحديث رقم (٣٠٥٢)، ومعنى حجيجه: أي أنا الّذي أخاصمه وأحاجّه.

عدوّهم ردّوا إليهم ما أخذوه من الجزية لفوات شرطها، وهو الحماية، فعن مكحولٍ أنّ الأخبار تتابعت على أبي عُبيدة بجموع الرّوم، فاشتدّ ذلك عليه وعلى المسلمين، فكتب أبو عبيدة لكلّ والٍ ممّن خلّفه في المدن الّتي صالح أهلها يأمرهم أن يردّوا عليهم ما جُبي منهم من الجزية والخراج، فكتب إليهم أن يقولوا لهم: إنّما رددنا عليكم أموالكم؛ لأنّه قد بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وإنّكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنّا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشّرط وما كان بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم.

وواصل المسلمون بهديٍ من دينهم عطاءهم الحضاريّ حين تحوّلوا من آخذين للجزية إلى باذلين للمال رعايةً وضماناً للفقراء من أهل الذّمّة، فقد رأى عمر بن الخطّاب ﷺ شيخاً كبيراً من أهل الجزية يسأل النّاس فقال: ما أنصفناك إن أكلنا شبيبتك ثمّ نأخذ منك الجزية، ثمّ كتب إلى عمّاله ألّا يأخذوا الجزية من شيخٍ كبيرٍ، وكان ممّا أمر به ﷺ: من لم يطق الجزية خفّفوا عنه، ومن عجز فأعينوه.

(الآية ٣٠) - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾:

سبب النّزول: عن ابن عبّاس ﷺ قال: أتى رسولَ الله ﷺ سَلامُ بن مشكم، ونعمانُ بن أوفى، وشأسُ بن قيس، ومالك بن الصَّيف، فقالوا:

كيف نتّبعك وقد تركت قِبْلتنا، وأنت لا تزعم أنّ عزيراً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

وهذه خلافاتٌ عقائديّة لا تؤثّر على السّلوكيّات والمودّة الّتي ربط الله ﷻ بها بين المسلمين والنّصارى كما مرّ بنا في الآية السّابقة.

(الآية ٣١) - ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾:

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾: الأحبار هم العلماء.

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: أصحاب الصّوامع المتجرّدون للعبادة.

﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: سادةً لهم من دون الله ﷻ، يطيعونهم في معاصي الله ﷻ، فلم يكونوا يصومون ولا يصلّون لهم، ولكنّهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً أحلّه الله ﷻ حرّموه، فتلك كانت ربوبيّتهم، عن عديّ بن حاتم ﷺ قال: أتيت النّبيّ ﷺ وفي عُنقي صليبٌ من ذهب، قال: فسمعته يقول: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: قلت: يا رسول الله، إنّهم لم يكونوا يعبدونهم، قال: «**أجل، ولكن يحلّون لهم ما حرّم الله فيستحلّونه، ويحرّمون عليهم ما أحلّ الله فيحرّمونه، فتلك عبادتهم لهم**»[1].

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب آداب القاضي، باب ٢٠، الحديث رقم (٢٠١٣٧).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: تقدّس وتنزّه عن الشّركاء والأنداد والأعوان، لا إله إلّا هو، ولا ربّ سواه.

ونؤكّد هنا بأنّ الإسلام لم يأمر بقتال النّاس على اختلاف عقائدهم، ولكنّه أمر بقتال المعتدين منهم كما ذكرنا.

(الآية ٣٢) - ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: الدّين هو نور القيم الّتي تهدي النّاس في ظلمات الحياة، هم لا يستطيعون أن يطفئوا نور الله ﷻ؛ لأنّ هناك فرقاً ما بين مصدر النّور وما بين أداة التّنوير، حتّى في الحياة الدّنيا عندما يريد الإنسان أن يطفئ النّور لا يستطيع أن يطفئ المنوّر، فهو يمكن أن يلقي حجراً على الزّجاجة فيقطع الكهرباء والضوء، ولكنّه لم يقطع المنوّر، فكيف بالله ﷻ المنوّر الحقيقيّ، فإذاً هم لا يستطيعون أن يطفئوا نور الله ﷻ بأفواههم ولا بأكاذيبهم ولا بخداعهم ولا بحيلهم، والله ﷻ أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ والصّراط المستقيم الّذي يختم به سيرة الأنبياء جميعاً، فلذلك مهما تآمر اليهود والمشركون على النّبيّ محمّد ﷺ فإنّهم لن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله ﷻ، فنور الهداية هو الصّراط المستقيم الّذي جاء به الأنبياء جميعاً.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الله ﷻ يأبى إلّا أن يتمّ هذا النّور وقد تمّ النّور، قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

﴿نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: من الآية ٣]، فتمّ النّور بمجيء الرّسول الأعظم بالقرآن الكريم، هذا الكتاب الّذي فيه شفاءٌ للصّدور، وسمّاه الله تعالى نوراً: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: من الآية ١٥]، وقال جلّ جلاله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: من الآية ٨٢]، فالكتب السّماويّة كلّها جاءت بالهدى والنّور، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: من الآية ٤٤]، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: من الآية ٤٦]، هدايةٌ ونورٌ وهذا النّور هو نور القيم.

(الآية ٣٣) - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾: هو الّذي أرسل رسوله محمّداً عليه الصّلاة والسّلام بالهدى؛ أي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية ٩]، فالكتاب الّذي نزل على رسول الله ﷺ هو الهداية.

﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾: دين الحقّ هو الدّين الّذي نزل من عند الله سبحانه وتعالى، أمّا الأديان الّتي اتّخذها النّاس كعبادة الأوثان والأصنام وعبادة الشّمس والقمر... فهي الباطل.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: قد يقول قائلٌ: بأنّ المسلمين الآن في مؤخّرة النّاس وفي ذيل ركب الحضارة الإنسانيّة

فكيف يقول ﷻ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؟ والجواب: أنّ الظّهور هو ظهور حجّةٍ واقتناعٍ وليس ظهور قوّة، نضرب مثالاً: قامت في أمريكا وأوروبّة حملاتٌ كبيرةٌ من أجل منع رضاع الأطفال واستخدام الحليب الصّناعيّ عوضاً عن ذلك معتقدين أنّ هذا أفضل للطّفل، فتبيّن بعد فترةٍ من الزّمن أنّهم عادوا إلى ما قاله الإسلام، واكتشفوا أنّ أفضل شيءٍ للطّفل هو الرّضاع، وكذلك تحريم الإسلام للخمر، نجدهم الآن هم أنفسهم يحرّمون الخمر في بلدانهم، لا يحرّمونه تشريعيّاً وإنّما يحرّمونه لأسبابٍ صحيّةٍ ولأسبابٍ تتعلّق بسلامة المجتمع، فإذاً الظّهور هو ظهور حجّةٍ واقتناع؛ لأنّه لا يوجد في كتاب الله ﷻ أيّ آيةٍ تناقض العلم البشريّ والعلم الصّحيح؛ لأنّ الخالق هو الله ﷻ فلا تناقض صحيح العلم، وإنّما ما أتى في القرآن الكريم كلّه وإن لم يصل إليه النّاس الآن سيصلون إليه في فترةٍ من الفترات، وهناك أمورٌ كثيرةٌ حتّى في مواضيع الطّلاق والزّواج، وكلّما مرّت الأيام أثبتت بأنّ ما جاء به الإسلام هو القيم الصّحيحة والسّليمة، وهذا هو الظّهور؛ ظهور الحجّة والاقتناع.

(الآية ٣٤) – ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾:

الحديث هنا يتعلّق بأحبار اليهود الّذين كانوا في المدينة المنوّرة، فقد

كانوا يأكلون أموال النّاس بالباطل؛ لأنّهم يريدون أن يأخذوا بالدّين ويشتروا الدّنيا فهم يبيعون ويغشّون النّاس ويحرّفون التّوراة ويناكدون النّبيّ ﷺ ويتآمرون عليه وعلى المسلمين، فاليهود وأحبارهم المادّيّون الّذين يعبدون المال أخبر الله ﷻ عنهم بأنّهم يأكلون أموال النّاس بالباطل، ولكن هل يوجد أكلٌ لأموال النّاس بالحقّ وأكلٌ بالباطل؟ الجواب: نعم يوجد أكلٌ بالحقّ، وهو تبادل المنافع كالتّجارة، أمّا الأكل بالباطل فهو الاحتيال على النّاس، وهو إمّا السّرقة أو الرّشوة أو الغشّ أو الاحتيال والكذب والدّجل، وقد كان أحبار اليهود يفعلون هذا كلّه.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ليصدّوا عن انتشار الإسلام وعن دعوة نبيّنا محمّد ﷺ، فهم أوّل وألدّ الأعداء، وأخبر القرآن الكريم عنهم منذ ذلك الوقت، ومِصداق القرآن الكريم هو ما نراه حتّى هذا الوقت، فنحن نرى الأوصاف ذاتها والصّفات ذاتها والعداوات ذاتها الّتي قام بها اليهود في ذلك الزّمن وانتقلت معهم من خلال أحفادهم إلى هذا الزّمن، قال ﷻ: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: من الآية ٨٢]، وقدّم اليهود على الأعداء كلّهم؛ لأنّهم رأس العداوة بالنّسبة للمسلمين، فالتّآمر كلّه الّذي يجري على سوريا الآن وعلى القدس والمسجد الأقصى وعلى الجولان وتغذية الإرهابيّين وتمويلهم وغير ذلك من الأمور لليهود الضّلع الأكبر فيه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾: الكنز مأخوذة من

الامتلاء، يقولون: الشّاة مكتنزة؛ أي مملوءة اللّحم، فالّذين يكنزون الذّهب والفضّة؛ أي ممتلئون بالمال، وفي القرآن الكريم إشاراتٌ علميّةٌ تتحدّى المستقبل وتتحدّث عن نوعين من المعادن وهما الذّهب والفضّة اللّذان يعدّان أساس الاقتصاد العالميّ منذ ذلك الوقت وحتّى الآن، ومع أنّه قد اكتُشِف الألماس وهو أغلى من الذّهب، إلّا أنّه بقي الذّهب هو الأساس وبعده الفضّة، وأصبح تبادل السّلع بالعملة الورقيّة الّتي لا قيمة لها إلّا برصيدها من الذّهب، فقوّة العملة تكون من قوّة رصيد الذّهب فيها، لذلك ذكر المولى المعدنَين الأساسيّين الذّهب والفضّة؛ لأنّهما أساس الاقتصاد الدّنيويّ.

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الّذي يكتنز المال ويحبّبه ويجمعه ولا يقوم بعمليّة التّنمية الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وعمليّة دوران وحركة المال في المجتمع يسمّى كانزاً للمال.

الإنفاق في سبيل الله ﷻ يكون في مصلحة العموم والمجتمعات، فأيّ عملٍ يعود بالخير عليك وعلى الغير فهو في سبيل الله ﷻ، أنت تخرج زكاةً من المال فالمفروض أن تثمّر المال حتّى تُكثر الزّكاة، فالإنسان إذا عمل في التّجارة وزاد من ماله فإنّه أوّلاً: يزيد من الحركة الاقتصاديّة في المجتمع، ثانياً: وهو المهمّ تزداد قيمة الزّكاة الّتي يخرجها من خلال هذا المال، لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**ما نقصَ مالٌ مِنْ صدقةٍ فتصدَّقُوا**»[1]، كيف لا ينقص؟ أنت تُخرج اثنين ونصف بالمئة وتنفقه على المحتاجين والفقراء وذوي الحاجة فكيف

(١) مسند البزّار: المجلّد الأول، مسند عبد الرّحمن بن عوف، الحديث رقم (١٠٣٢).

إذاً يزيد ولا ينقص؟ الجواب: أنت لا تنظر إلى رزق السّلب وإنّما تنظر إلى رزق الإيجاب، فما هو رزق السّلب وما هو رزق الإيجاب؟ رزق السّلب يكون عند إنفاقك على الفقراء، فتكون قد حصّنت أموالك لقوله ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصّدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة، وأعدّوا للبلاء الدّعاء**»[1]، كيف تحصّن أموالك بالزّكاة؟ عندما تحصّن المال تظنّ أنّه نقص، أمّا الله ﷻ فقد صرف عنك رزقاً يسمّونه رزق السّلب؛ أي أنّك إن مرضت ستصرف من مالك للتّداوي، فصرف عنك المرض وبقي المال، هذا الرّزق اسمه رزق السّلب، فأنت تظنّ أنّه قد نقص اثنين ونصف عندما تؤدّي الزّكاة، لكن عمليّاً تكون قد حميت بقيّة المال وحميت نفسك، لم تصرف من المال على صحّتك وعافيتك أو بغير معنىً أو تُسرَق أو يضيع المال.

والإنفاق في سبيل الله ﷻ هو دليلٌ على صدق الإيمان، قال النّبيّ: «**والصّدقة برهان**»[2]، عندما تخرج من مالك وتنفق على الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات فهذا برهانٌ على صحّة إيمانك، فالإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: بشّرهم بعذابٍ أليمٍ لمجرّد أنّهم اكتنزوا الذّهب والفضّة ولم ينفقوها؟! بالتّأكيد نعم؛ لأنّهم بمجرّد كنزهم المال فقد حرموا المجتمع من هذه الخيرات كلّها.

---

(١) سنن البيهقيّ الكبرى: كتاب الجنائز، باب ١٤، الحديث رقم (٦٣٨٥).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

(الآية ٣٥) - ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾:

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: أي على الذّهب والفضّة الّتي كانت مكنوزةً ولم تُنفق في سبيل الله ﷻ وفي عمارة الأرض، فكلّما استُعمل المال في المصلحة العامّة منع البطالة، وحرّك دورة رأس المال والاقتصاد، وعاد بالخير على النّاس جميعاً، هذا إضافة إلى كمية الزّكاة الّتي تخرج من هذا المال.

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: فلا تستقيم الأمور إذا لم يكن هناك ثوابٌ وعقابٌ، والدّين لا يؤخذ إلّا من القرآن الكريم ومن سنّة النّبيّ ﷺ، والحبّ في دين الله ﷻ هو الأساس، فإذا فعلت ما يحبّ الله تعالى فإنّك تمنع عنك العقاب والجزاء، مثالٌ: الأب في البيت لا يستطيع أن يربّي أبناءه من غير رادعٍ، وإذا طلب منه ابنه أن يلعب بأعواد الثّقاب هل يعطيه إيّاها؟ أو أنّه إذا أخذها وأشعل النّار فسيضربه على يده ويمنعه من ذلك؟ إذاً لا تستقيم الأمور إلّا بجانبين؛ جناح الرّغبة والرّهبة، لماذا إذاً توضع القوانين والأنظمة في الدّنيا ويُعاقب الإنسان المجرم؟ هذا أمرٌ طبيعيٌّ، لكن عندما يريد إنسانٌ أن يصوّب سهامه باتّجاه الإسلام ويهاجمه يقول: لماذا هناك عقابٌ ونارٌ بالإسلام؟! فهل يريد ديناً على مزاجه؟! فلقد ورد في القرآن الكريم أن أدعوَ النّاس لامتثال أوامر الله ﷻ حبّاً له، فقال ﷻ: ﴿قُلْ

﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، لكن لا بدّ أن يعرف الإنسان بأنّه إذا أساء فأمامه جهنّم.

فعندما يقول الله ﷻ: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ لماذا الجباه؟ لأنّ الجبهة هي الّتي يستقبل الإنسان الأشياء بها.

﴿وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: لأنّهم أداروا ظهورهم وجنوبهم للفقراء والمساكين، ولم يعطوهم حقّهم، لذلك تجد الله ﷻ يقول: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ [الماعون]، عندما تقف عند مدلول هذه الآية يذهب الذّهن مباشرةً إلى أنّ الّذي يكذّب بالدّين هو الّذي لا يؤمن بالله ﷻ ولا يصلّي ولا يصوم ولا يحجّ.. لكنّنا نجد أنّ القرآن يفاجئنا بالجواب: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون]، هل الدّين يساوي عدم زجر اليتيم وعدم الحضّ على إطعام المسكين؟ الجواب: نعم، ليس فقط يُطعم المسكين، بل يجب أن يكون المجتمع متضامناً، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر]، فعلينا أن نحضّ على إطعام المساكين والفقراء، فالّذي يكنز المال ويأخذ الذّهب والفضّة ويحتكر ويرفع الأسعار ويفعل هذه الأمور كلّها فأمرٌ طبيعيٌّ أن تجد القرآن الكريم يقول له: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: معنى الكنز

الجمع، فهذا ما جمعتموه لأنفسكم ستجدونه في الآخرة ناراً وعقوبة، بينما إذا أنفق الإنسان في سبيل الله ﷻ، فإنّه أثبت أوّلاً لنفسه صدق الإيمان من قلبه كما قال النّبيّ ﷺ: «**والصّلاة نورٌ والصّدقة برهانٌ**»[1]، فالصّدقة تبرهن على صحّة الإيمان بالله ﷻ.

(الآية ٣٦) - ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾:

جعل الله ﷻ الشّمس والقمر للحساب، فبواسطتهما يتمّ حساب اليوم ومواقيت الصّلاة والأشهر، وقد بيّن النّبيّ ﷺ ما هي الأربعة الحُرُم فقال: «**إنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السّماوات والأرض، السّنة اثنا عشر شهراً، منها أربعةٌ حرم، ثلاثٌ متواليات ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم، ورجب مضر الّذي بين جمادى وشعبان**»[2]، وهي الّتي جاء فيها تقنينٌ إلهيّ ليحمي المؤمنين من بطش وطغيان الكافرين، فمنع فيها القتال.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: وهنا الأمر للمؤمنين، فإن خالفت أوامر الله ﷻ، فإنّك لا تظلم الله ﷻ وإنّما تظلم نفسك.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، باب سورة براءة، الحديث رقم (٤٣٨٥).

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ﴾: إنّ أمر المسلمين بالقتال جاء بعد أن اعتدى المشركون عليهم وطردوهم من ديارهم، فعليهم أن يدافعوا عن أنفسهم من هذا الاعتداء، فعلّة القتال هي الاعتداء وليس الإشراك.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: فالله ﷻ سيحسم أمر هذه المعركة بين مشركي العرب ومشركي قريش واليهود الّذين نقضوا العهود والعقود مع رسول الله ﷺ وسينصركم عليهم.

(الآية ٣٧) - ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾: النّسيء هو التّأخير، والمراد: تأخير تحريم شهرٍ إلى شهرٍ آخر، وذلك أنّ العرب كانت تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وذلك ممّا تمسكت به من ملّة إبراهيم عليه السلام، وبما أنّ عامّة معايشهم من الصّيد والغارة، فكان يشقّ عليهم الكفّ عن ذلك ثلاثة أشهر على التّوالي، وربّما وقعت لهم حربٌ في بعض الأشهر الحرم فيكرهون تأخيرها، فينسئون أي: يُؤخِّرون تحريم ذلك الشّهر إلى شهرٍ آخر، وكانوا يؤخِّرون تحريم المحرّم إلى صفر، فيحرّمون صفر ويستحلّون المحرّم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخّروه إلى ربيع، شهراً بعد شهرٍ، حتّى استدار التّحريم على السّنة كلّها. واختلفوا في أوّل من

نسأ النّسيء: فقال الكلبيّ: أوّل من فعل ذلك رجلٌ من بني كنانة يُقال له: نعيم بن ثعلبة، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: إنّ أوّل من سنّ النّسيء عمرو بن لُحي بن قمعة بن خندف، والله ﷻ حدّد ما هي الأربعة الحُرُم، ليس فقط العدد وإنّما أيضاً المعدود.

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: الشّيطان هو الّذي يضلّهم.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾: زيّن لهم الشّيطان.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الله ﷻ أنزل القرآن الكريم هدايةً للنّاس جميعاً، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية ٩]، فعليك أن تأخذ بهذه الهداية وهي هداية الدّلالة، فإن فعلت وصلتك هداية المعونة أمّا إن رفضت هداية الدّلالة فالله ﷻ لا يهدي من يختار الكفر.

(الآية ٣٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾:

سبب النّزول: نزلت في الحثّ على غزوة تبوك، وذلك أنّ النّبيّ ﷺ لمّا رجع من الطّائف أمر بالجهاد لغزوة الرّوم، وكان ذلك في زمان عسرةٍ من النّاس، وشدّةٍ من الحرّ، حين طابت الثّمار والظّلال، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوةً إلّا ورّى بغيرها حتّى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حَرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، وعدوّاً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهّبوا لعدوّهم، فشقّ عليهم الخروج وتثاقلوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾.

﴿ٱنفِرُواْ﴾: النّفرة؛ أي: الخروج إلى أمرٍ.

﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: وكأنّ ثقلاً وُضِع عليكم فشُددتم إلى الأرض.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: هل رضيتم بمتاع هذه الحياة الدّنيا؟ وما في هذه الحياة الدّنيا مقابل الآخرة، وأنتم المؤمنون، أنتم الّذين تعلمون بأنّ متاع الحياة الدّنيا في الآخرة قليلٌ، فهو ميزانٌ خاسرٌ أن ترضى بالحياة الدّنيا من الآخرة، الحياة الدّنيا عرضٌ زائلٌ، وهي دنيا أغيار فلا ثبات على حالٍ، الصّغير يكبر، والصّحيح يمرض، والغنيّ يفقر.. وهذه هي طبيعة الحياة، أمّا ما تأخذه من متاعٍ ومتعٍ في هذه الحياة الدّنيا فهو مهما كبُر وعظُم فإنّه قليلٌ في الآخرة.

(الآية ٣٩) - ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾:

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: إن لم تقوموا بالنّفرة والحشد مع رسول الله ﷺ لملاقاة الرّوم، فإنّ المآل سيكون عذاباً أليماً.

﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾: فالله ﷻ كما خلقكم يخلق غيركم، وكما أوجدكم يوجد غيركم.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: والله ﷻ على كلّ

شيءٍ قدير، ولن يضرّه إن كنتم نفرتم مع رسول الله ﷺ أم لم تنفروا.

(الآية ٤٠) - ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾: هنا جاء المولى ليدلّل على أنّكم إذا لم تنفروا ولم تقوموا بنصرة النّبيّ في غزوة تبوك أمام الرّوم، فإنّ الله ﷻ ناصره.

سنتوقّف عند هذه الآيات قليلاً؛ لأنّ المستشرقين وبعض النّاس الّذين لا يفهمون روح اللّغة العربيّة ولا قواعد اللّغة العربيّة قالوا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾، أداة شرط، وجواب الشّرط يكون متأخّراً عن فعل الشّرط، فتكون الجملة: إلّا تنصروه فسينصره الله، لكنّ هذا ليس جواباً للشّرط، بل هذا دليل الشّرط، إلّا تنصروه فقد نصره الله ﷻ، نصره سابقاً.

ويدلّل المولى ﷻ على أنّكم إذا لم تقوموا بنصرته الآن بغزوة تبوك فإنّه قد نصره في أزمان أصعب من غزوة تبوك، فما هي الأزمان؟ الجواب: ثلاثة أزمان؛ لأنّه قد ذُكرت (إذ) ثلاث مرّات، إذ ظرف زمانٍ؛ أي زمن كذا:

١- ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ هذا زمنٌ.

٢- ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ هذا زمنٌ.

٣- ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ زمنٌ آخر.

ثلاثة أزمان كان فيها نصرةٌ عظيمةٌ لرسول الله ﷺ، أوّل نصرة إذاً

﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: نحن نعلم بأنّ الله ﷻ هو الّذي أمر رسوله ﷺ بالهجرة، فكيف يقول الله ﷻ هنا: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؟ من الّذي أخرج النّبيّ ﷺ من مكّة؟ هل الله ﷻ هو الّذي أخرجه أو مشركو مكّة؟ الجواب: إنّ الله ﷻ أخرجه وأمره بالهجرة لينصره وليسيح الدّين في الكون كلّه، هم أخرجوه ليقتلوه أو ليثبتوه أو ليتغلّبوا عليه، فإذاً الجهة منفكّة والأمر مختلفٌ، فهم اجتمعوا في دار النّدوة واتّفقوا على أن يأخذوا من كلّ قبيلة أشدّ النّاس ويطوّقوا بيت النّبيّ ﷺ ويقفوا عند بابه، وعندما يخرج ينقضّون عليه ويضربونه ضربة رجلٍ واحدٍ فيتفرّق دمه بين القبائل، وفعلاً طوّقوا المنزل لكنّ النّبيّ ﷺ فتح الباب وخرج من أمام أعينهم وألقى حبّاتٍ من رملٍ بيديه عليهم وهو يقرأ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩﴾ [يس]، فخرج من بين أظهرهم من غير أن يروه، فكان هذا نصراً عظيماً مؤزّراً للنّبيّ ﷺ.

﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾: ما هي النّصرة الّتي تمّت في الغار؟ أثناء الهجرة لاحقه المشركون حتّى وصلوا إلى باب الغار، فجاء العنكبوت ونسج وباض الحمام:

ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على ... خير البريّة لم تنسج ولم تَحُم
وقاية الله أغنت عن مضاعفةٍ ... من الدّروع وعن عالٍ من الأُطم
وكلّهم من رسول الله ملتمسٌ ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الدّيم

نسج العنكبوت خيوطاً أشدّ من الفولاذ حمت النّبيّ ﷺ، وباض

الحمام حتّى لا يعتقد أحدٌ أنّه قد دخل الغار فهذا هو النّصر الثّاني.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: لم يقل له: لا تخف، فهناك فارقٌ بين الخوف والحزن، الخوف: أن تخاف من شيءٍ سيقع، أمّا الحزن فهو على شيءٍ واقعٍ، فالصّدّيق ﷺ كان يحزن على النّبيّ ﷺ، قال سيّدنا الصّدّيق ﷺ: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا، فقال ﷺ: «**ما ظنّك باثنين الله ثالثهما**»[1]، فإذاً أين النّصرة هنا؟ الجواب: النّصرة أنّ النّبيّ ﷺ أدخل نفسه في معيّة الله ﷻ، وبما أنّه في معيّة الله ﷻ فإذاً لن يروه، فعندما أدخل النّبيّ نفسه والصّدّيق معه في معيّة الله ﷻ فهذا أعظم نصرٍ يتحقّق.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾: الهاء تعود على الصّدّيق ﷺ؛ لأنّه هو الّذي كان حزيناً.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: الهاء هنا عائدة على النّبيّ ﷺ.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾: جعل؛ لأنّ كلمة الّذين كفروا قد تكون عليا في بعض الأحيان، فجعلها الله تعالى سفلى، ولكن لم يقل: (وجعل كلمة الله هي العليا)؛ لأنّ كلمة الله جلّ وعلا هي عليا على الدّوام، لا تُجعل جعلاً، ومن هنا اختلف الإعراب، ففي الإعراب ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ﴾ المفروض باللّغة العربيّة واو عطف فتكون الجملة التّالية: (وكلمةَ الله هي العليا)، لكنّها

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، سورة (براءة)، الحديث رقم (٤٣٨٦).

جاءت مرفوعةٌ؛ لأنّها مبتدأ وليست مفعولاً به، لذلك جاءت بالضّم، فالواو هنا تكون استئنافيّةً.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عزيزٌ لا يُغلب، ولا يحتاج إلى غيره، مستغنٍ عن عبادة خلقه، وهو حكيمٌ يضع الأمور في نصابها.

(الآية ٤١) – ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾:

ذكرنا بأنّ الآيات السّابقة تتحدّث عن غزوة تبوك وهي المعركة الأولى الّتي تتمّ بين المسلمين والرّوم، حيث بدأ الرّوم بالاعتداء على أطراف المدينة المنوّرة من جهة تبوك، وكان جيش الرّوم يتحرّك باتّجاه القضاء على المدينة المنوّرة، فخرج الرّسول ﷺ في غزوة تبوك –وهي بعد حُنين– وكان النّاس منهكين، إضافةً إلى أنّها كانت في شدّة الحرّ في منتصف الصّيف، وكان هذا العام عام عُسرةٍ، فبدأ المنافقون يثبّطون الهمم، وهنا يجب علينا أن ننتبه إلى أمرٍ مهمٍّ، وهو أنّ الله ﷻ عندما يأمر البشر بأمرٍ فهذا الأمر يكون في مصلحتهم؛ لأنّ الله ﷻ لم يكلّف البشر إلّا بما هو ضمن دائرة طاقتهم، قال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦]، وهنا يحضّ الله ﷻ المؤمنين على الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك:

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا﴾: الخفيف هو الصّحيح السّليم.

﴿وَثِقَالًا﴾: الثّقيل قد يكون هو المريض، أو الّذي لديه بطء في حركته، أو لا يستطيع أن يتحرّك.

وهنا أمرٌ عامٌّ للمؤمنين كلّهم: انفروا بالاتّجاهات كلّها نصرةً لرسول الله ﷺ، وبعد ذلك يأتي التّخصيص بأنّه ليس على المريض حرجٌ ولا على الأعمى حرجٌ ولا على الأعرج حرجٌ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ذا: اسم إشارة، اللّام: للبعد، والكاف: للخطاب، ذلكم؛ أي النّفرة والجهاد مع رسول الله ﷺ بالأموال والأنفس.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: هو خيرٌ من القعود والبقاء في المدينة المنوّرة وعدم نصرة النّبيّ ﷺ، وكلمة ﴿خَيْرٌ﴾ في اللّغة العربيّة إمّا أن تكون صيغة تفضيل؛ أي خيرٌ من، أو المراد بها الخير المطلق، فعندما يوجد خير ويوجد أخيَر فلا يُقال باللّغة العربيّة: (أخيَر)، وإنّما يُقال: خيرٌ من.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: صحيحٌ في ظاهر الأمر أنّ الخروج لتبوك مع رسول الله ﷺ هو العنت والمشقّة والتّعب، ولكنّ الله ﷻ يبيّن بأنّ هذا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون، فأنتم لا تعلمون إلّا ظاهراً من الحياة الدّنيا، وتقيسون في المقاييس الّتي على وِفق المساحة الّتي يمكن لعقلكم البشريّ أن يحسب فيها، وهذه المساحة مهما امتدّت فإنّها لا يمكن أن تتجاوز الحياة الدّنيا.

(الآية ٤٢) - ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾:

العرَض هو ما يقابل الجوهَر، وهو الشّيء الزّائل، أو هو الشّيء المتغيّر.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾: لو كان أمراً سهلاً وسفراً بلا مشقّة لاتّبعوك وذهبوا معك إلى تبوك يا رسول الله.

﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: أي كانت المشقّة والمسافة طويلة ما بين المدينة وتبوك في هذا الحرّ وفي هذا العَنَت والشّدّة.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: هم لم يحلفوا بعد، والسّين هنا سين الاستقبال، ولو أنّهم فهموا ما كانوا ليحلفوا، ولكنّ الله ﷻ يتحدّاهم في المستقبل بأنّهم سيحلفون، وقد فعلوا ذلك.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يهلكون أنفسهم؛ ليس لأنّهم تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقط، ولكنّهم أيضاً حلفوا بالله ﷻ كذباً، فهم يستطيعون أن يخرجوا ولكنّهم تقاعسوا عن نصرة رسول الله ﷺ خوفاً من الحرّ والتّعب والعنت.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: الله ﷻ يعلم السّرّ وأخفى، وهو ﷻ مطّلعٌ على خائنة الأعين وما تخفي الصّدور.

(الآية ٤٣) – ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾: عفا؛ أي أنّ هناك أمراً قد مُحيَ، فالنّبيّ ﷺ بقومه رؤوفٌ رحيمٌ، فعندما يقول الله ﷻ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾؛ أي لم يبقَ لها أثرٌ، والنّبي ﷺ أذن لهم رأفةً ورحمةً منه ﷺ، بدليل أنّ الله ﷻ أيّد موقف النّبيّ عندما قال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ

﴿ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة]، أي كانوا زادوكم تثبيطاً، ولكنّ الله ﷻ يشرّع والنّبيّ ﷺ له الرّحمة والقلب الواسع باتّجاه النّاس فقد أذن ﷺ لبعضهم بعدم الخروج فعاتبه الله ﷻ وبيّن أنّه عفا عنه لمَ أذِن لهم، وهذا تكريمٌ لرسول الله ﷺ، فالعتب في القرآن الكريم للرّسول الكريم هو رفع درجاتٍ بخلاف العتب بالنّسبة لباقي البشر، فالنّبيّ ﷺ لا يفعل ذلك تقصيراً، وإنّما برأفته ورحمته واجتهاده من أجل هداية قومه.

(الآية ٤٤) – ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾:

الاستئذان بالنّسبة للإنسان الّذي يؤمن بالله واليوم الآخر هو اهتزازٌ للإيمان؛ لأنّه قارن متاع الحياة الدّنيا بمتاع الآخرة، فتَرْكُ الخروج مع رسول الله ﷺ هو استقبالٌ للدّنيا وإدبارٌ عن الآخرة، واختيارٌ للحياة الدّنيا على نعيم الآخرة، لذلك قال ﷻ: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾.

﴿أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾: لماذا أتى الله تعالى بالإيمان بالله واليوم الآخر؟ قمّة الإيمان الإيمان بالله ﷻ ونهاية قوس الإيمان اليوم الآخر، صحيحٌ بأنّ الإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، ولكنّ اليوم الآخر هو أساسٌ، فعندما تؤمن بالله ﷻ يجب أن تؤمن أنّ هناك يوماً ستُحاسب فيه وأنّ هناك يوماً ستقف فيه بين يدي الله تعالى الّذي آمنت به والّذي أخبرك بأنّ هناك جنّةً وناراً، فلا تخترع ديناً من عندك.

(الآية ٤٥) - ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾:

النّفاق هو أن يظهر الإنسان غير ما يبطن، والمنافق انتهازيٌّ يريد الحصول دائماً على مكاسب من غير أن يقدّم جهوداً، وقد فضح القرآن الكريم حركة النّفاق في المجتمع، ولكن لا يستطيع الإنسان أن يطلّع على قلوب النّاس ليحكم بأنّ هذا منافقٌ أو غير منافقٍ، فأعطى الله ﷻ صفات هؤلاء المنافقين في كثير من الآيات القرآنيّة وهذه الآيات الآن تتحدّث عن المنافقين الّذين حلفوا لرسول الله ﷺ وتحجّجوا واعتذروا بالأعذار لئلّا يخرجوا في غزوة تبوك.

الّذين استأذنوا وأرادوا البقاء في المدينة هم فقط الّذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فهؤلاء لو آمنوا حقيقةً لخرجوا ولبذلوا؛ لأنّ تصديق الإيمان يكون بالفعل.

﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: يأتي الدّليل العقليّ بالنّسبة للإنسان أوّلاً، ثمّ ينزل هذا الدّليل العقليّ فيرسخ في القلب، وعندها يصبح عقيدةً لا يحتاج إلى مراجعةٍ وتردّدٍ، ويُصبح من الثّوابت، لذلك يُسمّى عقيدةً؛ أي تعقد وتربط عليه في القلب، إذاً الدّليل في العقل لكن الإيمان يستقرّ في القلب ويصدّقه العمل، فهو يحتاج إلى برهانٍ ودليلٍ وهما من عمل العقل، وهنا لا بدّ من الإشارة بأنّ الكثير من النّاس الّذين يريدون أن يحاربوا الإسلام أو الحديث عن الإسلام يتبجّحون دائماً بقضيّة العقل وموضوع النّقل والعقل، وكيف

يقدّمون النّقل على العقل، وهذا موضوعٌ بحث فيه الكثيرون، بالتّأكيد الّذي يعلم بأنّ النّقل هو كلام الله ﷻ، والله ﷻ هو خالق العقل، يعلم بأنّه لا يمكن أن يكون هناك تعارض على الإطلاق بين ما قاله الله ﷻ وبين ما يأتيه العقل من علمٍ؛ لأنّ الخالق واحدٌ، فلا يوجد إلهان يتصارعان، أمّا إن كنت لا تؤمن بأنّ القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ فهذا أمرٌ آخر، والقرآن الكريم كلّه يتحدّث عن العقل: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: من الآية ١٧٦]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النّساء: من الآية ٨٢]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: من الآية ٦٨]، كيف تقول: إنّه لا يؤمن بالعقل؟ والنّقل هو من عند الله ﷻ لا يمكن أن يتعارض مع العلم ولا مع الإيمان، والعلم والإيمان متلازمان ومتطابقان، يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: من الآية ٢٨].

(الآية ٤٦) – ﴿*وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾:

﴿*وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: لو أراد هؤلاء الّذين يستأذنون النّبيّ ﷺ الخروج لكانوا أعدّوا العدّة للخروج إلى هذه الغزوة، ولكنّهم لم يفعلوا.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾: لماذا؟ لأنّهم سيكونون وبالاً على المؤمنين، فحركة النّفاق ستفتّت من عضد تماسك المؤمنين.

﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: أي: قيّد حركتهم، فلا يريدون الحركة ولا الخروج للجهاد.

﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾: قيل: مبني للمجهول، من الّذي قال: اقعدوا مع القاعدين؟ الجواب: الشّياطين أوحت لهم، وأصدقاؤهم من المنافقين، وقد يكون النّبيّ ﷺ هو الّذي قال لهم: اقعدوا مع القاعدين، فقد تكون من مصادر عدّة، لكن كلّ واحدٍ يمكن أن يقولها لسبب، والنّتيجة أنّهم قعدوا ولم يخرجوا إلى قتال الرّوم في غزوة تبوك مع النّبيّ ﷺ.

(الآية ٤٧) – ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾:

يوم غزوة تبوك أخذ المنافقون يتعذّرون للنّبيّ ﷺ كيلا يخرجوا معه، فيقول الله ﷻ مؤكّداً موقف النّبيّ ﷺ بأنّه أذن لهم وارتاح منهم: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾.

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا﴾: الخبال: مرضٌ عقليٌّ ينشأ معه اختلال موازين الفكر، فإذاً آراؤهم كلّها ستكون آراء معاكسةً لمصلحتكم، ولو خرجوا فيكم لأوقعوا الجبن والفشل بينكم.

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ﴾: أي أسرعوا.

﴿خِلَٰلَكُمۡ﴾: وسطكم بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنّميمة، أي سيوجِدون فرقة داخلكم، والخلال: الفرجة بين الشّخصين، إذاً يفتّتون عضد النّاس، فخروجهم سيلحق الضّرر بجيش النّبيّ ﷺ، لذلك فإنّ عدم خروجهم أفضل.

﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾: يريدون إحداث الفتنة داخل صفوف المسلمين.

﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾: لماذا تحدث الفتنة؟ لأنّ بعضكم سيسمعون لهم وسيتأثّرون برأيهم وأقوالهم فتحدث البلبلة في صفوف جيش النّبيّ ﷺ.

(الآية ٤٨) - ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٤٨﴾:

﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾: هم أرادوا الفتنة لكم قبل هذا، والفتنة هنا تأتي بمعنى العذاب أو السّوء.

﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾: التّقليب؛ أي يقلّبون الأمور حتّى يصادفوا ما هو أسوأ بالنّسبة لكم، ومثالٌ على ذلك التّقليب وابتغاء الفتنة اجتماعهم في دار النّدوة ومحاولتهم بالوسائل والطّرق والأساليب كلّها إيجاد الأسوأ، واختاروا أسوأ الأمور الّتي تسيء للنّبيّ ﷺ، وقرّروا أن يأخذوا من كلّ قبيلةٍ رجلاً، ثمّ يجتمعون على داره ويضربونه ضربة رجلٍ واحدٍ فيتفرّق دمه بين القبائل.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: الله ﷻ نصرك في ذلك الموقف والله تعالى نصرك في الغار وعند خروجك من بيتك وفي بدر، والحقّ دائماً يكون إلى جانب النّبيّ ﷺ، وظهر أمر الله ﷻ بنصر رسوله ﷺ.

﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾: هم أخرجوه ليقتلوه، والله ﷻ أخرجه لينصره نصراً عزيزاً مؤزّراً.

(الآية ٤٩) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾:

هذه السّورة رصدت المنافقين في كلّ مكان.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ﴾: ومن المنافقين من يقول لك يا محمّد: ائْذَن لي في القعود، ولا تفتنّي بالخروج معك.

سبب النّزول: نزلت هذه الآية في الجدّ بن قيس، وكان الجدّ بن قيس من أشراف بني سلمة، فقد قال للرّسول ﷺ: قد عرف قومي أنّي مغرمٌ بالنّساء، وإنّي أخشى إن رأيت بني الأصفر ألّا أصبر عنهنّ، فلا تفتنّي وائذن لي في القعود، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «**قد أذنت لك**»، فنزلت هذه الآية.

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾: أي: قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا؛ أي إن كان يخشى من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة لتخلّفه عن رسول اللّه ﷺ والرّغبة بنفسه عن نفسه أعظم.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي أنّه مهما فعل الكافر والمنافق فإنّه لن يستطيع أن يفرّ من العقاب ومن الجزاء على فعلته.

(الآية ٥٠) - ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾:

يتابع الله ﷻ الحديث عن المنافقين وما يتعلّق بهم يوم غزوة تبوك، وهنا يعطي صفةً عامّةً تتعلّق بالمنافقين في المجتمع:

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾: وهذه هي طبيعتهم.

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: هم ينظرون دائماً من معيار المصلحة، إذا رأوك في حالةٍ حسنةٍ من الانتصار والغنائم وتحقيق المراد فإنّ هذا يعود عليهم بالسّوء والضّغينة والحقد عليك وعلى المسلمين، وإن كانت مصيبة يعتقدون أنّهم نتيجة لعدم خروجهم قد نجوا، أو يقول بعضهم: ما كان جرى ما جرى لو لم نخرج، هذا ديدن المنافقين دوماً، فهم يشكّكون ويحاولون تدمير المجتمع بأفكارهم من أجل مصالحهم؛ لأنّهم لا ينظرون إلى المصالح العامّة وإنّما ينظرون إلى مصالحهم الفرديّة الخاصّة.

(الآية ٥١) - ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾:

﴿قُل﴾: يا محمّد، جواباً على ذلك:

﴿لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾: هذه قاعدةٌ إيمانيّةٌ عظيمةٌ يجب أن يؤمن بها كلّ إنسانٍ مؤمنٍ على وجه الأرض، حتّى لو كانت الإصابة سوءاً؛ لأنّنا نؤمن بأنّه من عند الله ﷻ، فإذا رأيت مصيبةً قد نزلت بك فإيّاك أن تظنّ بأنّها تسيء إليك؛ لأنّك تثق فيمن أجراها عليك وهو الله تعالى وهو يجري هذه المصيبة لحكمة، فقد تكون تأديبيّة، هذا إن كان الإنسان مؤمناً، وفي العادة عندما يُصاب الإنسان بأمرٍ ضارٍّ فإمّا أن يكون فيه غريمٌ أو لا يوجد فيه غريمٌ، مثالٌ: إنسانٌ مَرِض، هذه مصيبةٌ أُصيب بها

ولكن لا يوجد له غريمٌ ليثأر منه، أمّا إنسانٌ ضربه أحدٌ أو سرق ماله فهذا له فيها غريمٌ، فإذاً المصيبة إمّا ألّا يكون لك فيها غريمٌ فعندها عليك بالصّبر؛ لأنّ الله ﷻ أجراها عليك، وإمّا أن يكون هناك غريمٌ فيطلب الله ﷻ منك ثلاث خطوات: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤]، أوّلاً يجب أن تكظم غيظك، بعد ذلك يجب أن تعفو، ومن ثمّ عليك أن تحسن.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: هذه القاعدة إن كانت في قلب الإنسان وعلم أنّه لا يضرّ ولا ينفع، ولا يصل ولا يقطع، ولا يخفض ولا يرفع، ولا يعزّ ولا يذلّ، ولا يحيي ولا يميت إلّا الله ﷻ ارتاح في حياته، كما قال ﷺ: «**يا غلام، إنّي أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصّحف**»(١).

إذاً لن يصيبنا إلّا ما كتب الله ﷻ لنا، خيراً أو شرّاً، مهما كان في هذه الحياة فعلى الله ﷻ فليتوكّل المؤمنون، والتّوكّل هو عمل القلب وليس عمل الجوارح، الجوارح تعمل والقلب يتوكّل هذا هو معنى التّوكّل الحقيقيّ

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب صفة القيامة والرّقائق والورع عن رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٢٥١٦).

كما ورد في كتاب الله ﷻ وليس التّواكل.

(الآية ٥٢) - ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾: النّبيّ ﷺ يقول لهؤلاء المنافقين: هل تنتظرون بنا أيّها المنافقون؟.

﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ﴾: النّصر أو الشّهادة في سبيل الله ﷻ.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: ننتظر لكم إمّا أن ننتصر عليكم بأيدينا أو أن نكلكم إلى عذاب الله ﷻ، فالنّتيجة هي السّوء عليكم.

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: أي متمهّلون ومنتظرون لهذه النّتيجة.

(الآية ٥٣) - ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾:

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟﴾: هنا ليس أمراً بالإنفاق، وإنّما هنا زجرٌ؛ أي سواء أنفقتم أم لم تنفقوا فليس لكم أجرٌ.

﴿طَوْعًا﴾: هو الفعل الّذي يفعله الإنسان بإرادته.

﴿أَوْ كَرْهًا﴾: أي غصباً عنكم.

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾: لن يُتقبّل منكم هذا الإنفاق.

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: أي خارجين عن طاعة الله ﷻ.

(الآية ٥٤) - ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾:

ثلاثة أشياء منعت أن تُقبل نفقاتهم: أوّلاً- هم كفروا بالله ﷻ ورسوله الكريم، ثانياً- لا يأتون الصّلاة إلّا وهم كُسالى، ثالثاً- لا ينفقون إلّا وهم كارهون. ستقول: كيف ينفقون ويأتون الصّلاة وهم كفروا بالله ورسوله؟ هذا هو النّفاق، أن تظهر الإيمان وتُبطِن حقيقة الكفر، المنافقون لديهم لسانٌ يصدّق ولكنّ القلب مُنكرٌ، فهم يقولون: آمنّا، لكن حقيقةً لا يوجد إيمانٌ في قلوبهم؛ لأنّ الإيمان هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل، ومن ثمّ حتماً لن يأتوا إلى الصّلاة إلّا بتباطؤٍ وهم متثاقلون، ولا يمكن أن يخرجوا من أموالهم إلّا وهم كارهون غصباً من أجل أن يظهروا أمام المؤمنين بمظهر الإيمان، ينفقون غصباً وكُرهاً، لذلك لن تُقبل منهم هذه النّفقات.

(الآية ٥٥) - ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ﴾: يبيّن المولى ﷻ بأنّهم لا يستحقّون الإعجاب بما عندهم من مالٍ أو أولاد، فالإنسان يُعجب بالمال والأولاد، وهذا الاستحسان زمانه الدّنيا فقط، وأيّ شيءٍ سيتركك وتتركه فلا يستحقّ الإعجاب، فلن يبقى مع الإنسان سوى الحيّ القيّوم، والنّاس دائماً يعملون

في هذه الحياة الدّنيا من أجل تحصيل الأموال لتأمين الأولاد، التّأمين لا يكون إلّا من الله ﷻ، فأن تجمع المال من حرامٍ من أجل أن تؤمّن أولادك فسيكون هذا المال وبالاً عليك وعلى ورثتك وأولادك، إذاً استحسان المال والولد لا يستحقّ هذا الإعجاب؛ لأنّه دنيا زائلةٌ وهي عرضٌ زائلٌ، ومهما طال العمر بالإنسان فإنّه سيلاقي الموت.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: كيف يعذّبهم الله ﷻ بالمال وبالأولاد؟ أوّلاً: النّعم تلهي عن المنعم هذا نوعٌ من العذاب، ثانياً: عابد المال يجمعه من حرام فيُربّي أولاده بالحرام فيُصبح الأولاد عذاباً لآبائهم وأُسرهم نتيجة هذا الحرام، وكذلك فإنّ الإنسان مهما تعدّدت وظائفه فالشّيء الوحيد الّذي يجتمع عليه النّاس جميعاً ويتساوى فيه النّاس جميعاً هو الموت، لذلك عليك أن تستقبل الموت منذ وجودك في هذه الحياة؛ لأنّ الموت هو اللّحظة الفارقة الّتي ينتقل فيها الإنسان من حياة الأعمال إلى دار الخلود والجزاء على الأعمال، فهذه الحياة إنّما هي مزرعةٌ للآخرة، وكلّ من ينظر إليها بغير ذلك فالوقائع تكذّبه، يقول النّبيّ ﷺ: «**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**»[1]، وقال ﷺ: «**ما لي وما للدّنيا، ما أنا في الدّنيا إلّا كراكبٍ استظلّ تحت شجرةٍ ثمّ راح وتركها**»[2]، هذا المثل الّذي ضربه النّبيّ ﷺ لا يمكن لوقائع الحياة أن تكذّبه أبداً:

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب قول النّبيّ ﷺ: «**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**»، الحديث رقم (٦٠٥٣).

(٢) سنن التّرمذيّ: كتاب الزّهد، باب ٤٤، الحديث رقم (٢٣٧٧).

نسير إلى الآجال في كلّ لحظةٍ وأعمارنا تُطوى وهنّ مراحلُ
ولم أر مثل الموت حقّاً كأنّما إذا ما تخطّته الأمانيُّ باطلُ
وما أصعب التّفريط في زمن الصّبا فكيف به والشّيب للرّأس شاملُ
ترحّل من الدّنيا بزادٍ من التّقى فعمرك أيّامٌ وهنّ قلائلُ

هذه هي حقيقة الحياة الدّنيا، كان سيّدنا الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يقول: "مسكينٌ ابنُ آدَمَ، مَكتومُ الأجل، مَكنونُ العِلَل، محفوظ العمل، تؤلِمه البقَّة، وتقتله الشَّرْقَةُ، وَتُنتِنهُ العَرْقَة، عجبت كيف يفرح بالدّنيا مَن يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح بالدّنيا مَن تقوده حياته إلى موته ويقوده عمره إلى أجله"، هذه هي الحقيقة، لذلك يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعذّبهم عندما يتركونها تكون هي العذاب، هذا الإنسان عندما سيموت أشدّ ما يعذّبه هو تعلّقه بالمال وبالأولاد، واللّام هي لام الصّيرورة، لام العاقبة، وليست لام التّعليل.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾: تزهق؛ أي تخرج أنفسهم بصعوبةٍ؛ لأنّ الإنسان الّذي يعمل الموبقات ويجمع الأموال من حرامٍ عندما تخرج روحه تخرج بصعوبة. وهم قد كفروا بما جاء به النّبيّ ﷺ.

(الآية ٥٦) - ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: إذاً هم يقدّمون الحلف، فعندما

يكون أمام الإنسان إنكارٌ معيّنٌ يحلف حتّى يثبت صحّة الأمر. والمنافق دائماً يحلف من غير أن تسأله؛ لأنّ اليمين تكون بعد شبهة إنكارٍ، فهو يعتقد أن النّاس في أنفسهم ينكرون كلامه فيحلف؛ لأنّه منافق.

﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: الفَرَق: هو الخوف، فهم يخافون؛ لأنّهم يعتقدون أنّه في كلّ لحظةٍ من اللّحظات يمكن أن ينكشف أمرهم، أو أن تنفضح سرائرهم وتواطؤهم.

(الآية ٥٧) - ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾:

﴿لَوْ يَجِدُونَ﴾: عندما تحدث هذه المعارك، لو كانوا يجدون.

﴿مَلْجَأً﴾: ما يلجأ إليه الإنسان من أجل أن يحميه من الأذى.

﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾: المغارة: كهفٌ في الجبل.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: هو نفقٌ تحت الأرض تدخل فيه بالتواء.

فالمنافق يحاول أثناء المعركة أن يحتمي بملجأ، أو يدخل كهفاً أو مُدّخلاً؛ ليحمي نفسه من القتال، ويُبعد نفسه عن الأخطار.

﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: أي بسرعةٍ فائقةٍ من غير سيطرةٍ على أنفسهم نتيجة خوفهم ونتيجة القلق الّذي يعتريهم في هذه المعارك، كما نقول: جمح الفرس؛ أي خرج عن السّيطرة.

(الآية ٥٨) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾:

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يقول ﷻ: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة]، هناك لمزة وهمزة، وهما على وزن فُعلة تدلّ على كثرة فعل الشّيء، الهمزة: الّذي يعيب على النّاس بخفاءٍ، بإشارةٍ، أمّا اللّمزة فهو الّذي يعيب على النّاس بلسانه وبشكلٍ سليطٍ ومباشرٍ.

فهم يتحدّثون بشكلٍ علنيٍّ، ويهاجمون النّبيّ ﷺ إمّا بتشريع الصّدقة، أو بتوزيع الصّدقة.

سبب النّزول: كان هناك رجلٌ اسمه حرقوص بن زهير ذو الخويصرة هو رأس الخوارج، عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة، وهو رجلٌ من بني تميم فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: «**ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**». فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «**دعه، فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيءٌ، ثمّ ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيءٌ، ثمّ ينظر إلى نضيه –وهو قدحه– فلا يوجد فيه شيءٌ، ثمّ ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيءٌ، قد سبق الفرث والدّم، آيتهم رجلٌ أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة**

تدردر، ويخرجون على حين فرقة من النّاس»[1]، وهؤلاء هم الخوارج، انظر كيف وصف النّبيّ ﷺ الخوارج في ذلك العصر، وحركة الخوارج ظهرت في أيّام خلافة سيّدنا الإمام عليّ كرّم الله وجهه، لكنّ النّبيّ ﷺ تنبّأ من هم الخوارج ووضع صفات تتعلّق بهم، منذ هذا الرّجل الّذي هو أساس الخوارج الّذي جاء النّبيّ ﷺ وطلب منه أن يعدل، فهو يحاول أن يستدرك على رسول الله ﷺ، وهذا الفكر المريض المنغلق بيّنه النّبيّ ﷺ فقال لسيّدنا عمر: **«دعه، فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه**

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب المناقب، باب علامات النّبوّة في الإسلام، رقم الحديث (٣٤١٤). **«خبت وخسرت»**: أي أنت الخائب والخاسر إذا ظننت أنّي لا أعدل؛ لأنّك تعتقد نفسك تابعاً لمن هذه صفته. **«يحقر أحدكم صلاته»**: يجدها قليلةً، ويظنّها أقلّ ثواباً وقبولاً. **«مع صلاتهم»**: إذا قارنها بصلاتهم. **«لا يجاوز تراقيهم»**: لا يتعدّاها، والتّراقي جمع ترقوة، وهي عظم يصل ما بين ثغرة النّحر والعاتق؛ والمراد لا يفقهون معناه ولا تخشع له قلوبهم ولا يؤثّر في نفوسهم فلا يعملون بمقتضاه. **«يمرقون»**: يخرجون منه سريعاً دون أن يستفيدوا منه. **«الرّمية»**: هو الصّيد المرمي، شبّه مروقهم من الدّين بمروق السّهم الّذي يصيب الصّيد فيدخل فيه ويخرج منه دون أن يعلق به شيءٌ منه لشدّة سرعة خروجه. **«نصله»**: حديدة السّهم. **«رصافه»**: هو العصب الّذي يلوى فوق مدخل النّصل. **«قدحه»**: هو عود السّهم قبل أن يوضع له الرّيش. **«قذذه»**: جمع قذّة وهي واحدة الرّيش الّذي يعلّق على السّهم. **«قد سبق الفرث والدّم»**: أي لم يتعلّق به شيءٌ منهما لشدّة سرعته، والفرث: ما يجتمع في الكرش ممّا تأكله ذوات الكروش. **«البضعة»**: قطعة اللّحم. **«تدردر»**: تضطرب وتذهب وتجيء. **«حين فرقة»**: أي زمن افتراق بينهم.

مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية»، فهؤلاء هم الخوارج، وهم المتطرّفون.

ولاحظنا بأنّ فئةً من الأنصار في معركة حنين من أجل العطاء والغنائم تحدّثوا أنّ النّبيّ ﷺ أعطى قومه أهل مكّة دونهم، عندها جمعهم النّبيّ وخطب فيهم في ذلك الموقف المهيب الّذي تحدّثنا عنه سابقاً.

(الآية ٥٩) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: كان من المفروض أن تكون رغبتهم إلى ربّهم وليس إلى المال والصّدقات والعطاءات وما يتعلّق بهذه الحياة الدّنيا، فعلى الإنسان أن ينظر إلى ما يقسمه الله ﷻ والرّسول الكريم له، لذلك قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: أي لا نضع في حسابنا إلّا الله ﷻ؛ لأنّه سيؤتينا من فضله، وفضل الله ﷻ ليس مقصوراً على المال والغنائم فقط، وإنّما فضله ﷻ في رزق السّلب أيضاً؛ أي أنّه يمنع عنك أن تدفع أموالاً على مرضٍ أو حاجةٍ أو أمرٍ من الأمور الّتي لا ترغبها، فالإنسان في هذه الحياة الدّنيا معرّضٌ لشتّى أنواع الابتلاءات، فيجب أن يرغب إلى ربّه ﷻ وليس إلى جيبه وماله؛ لأنّ المال لن يعطي الثّمرة ولن يعطي للإنسان الضّمان والأمان مهما جمع وكنز من مالٍ، فهب أنّ لك كلّ ما في هذه الحياة من أموالٍ، ومُنعت صحيّاً من أن تشرب كأس ماءٍ، أو أن تأكل، أو أن تنام،

فماذا تفيد هذه الأموال؟

هَبْ أنّك قد ملكت الأرضَ طُرّاً ودانَ لك البلاد فكان ماذا؟!

أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ ويحثو التّرب هذا ثمّ هذا؟!

فليجعل الإنسان عزّه بربّه وليس بماله، ولتكن رغبة الإنسان إلى ما عند الله ﷻ، وما عند الله خيرٌ وأبقى للإنسان، فليست الحياة بالحصول على المال، وإنّما بالحصول على الاطمئنان، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرّعد]، لذلك كان النّبيّ ﷺ دائماً يوصي النّاس بالإكثار من قراءة القرآن والذّكر والالتجاء إلى الله ﷻ بالدّعاء.

(الآية ٦٠) - ﴿*إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾:

﴿*إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾: بيّن الله ﷻ في هذه الآيات مصارف الزّكاة، لكن قد يسأل سائلٌ: هل المقصود هنا الصّدقة أو الزّكاة؟ الجواب: بالتّأكيد الزّكاة، فبما أنّ هناك مصارفٌ فإذاً هي زكاةٌ وليست صدقةً، فالصّدقة تدفعها لأيّ إنسانٍ، وهي سنّة عن النّبيّ ﷺ، وهي إحسانٌ وزيادةٌ في الخير، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذّاريات]، وفي آيةٍ أخرى يقول ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ

﴿مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ [المعارج]، فحين يُحدّد بقوله: ﴿حَقّٞ مَّعۡلُومٞ﴾ فهي زكاةٌ، أمّا إذا لم يكن محدّداً وأُطلق فإنّه صدقةٌ، فإذاً هنا من تتمّة الآية نعرف أنّ الصّدقة هنا المقصود بها الزّكاة، و(إنّما) أداة حصرٍ؛ أي مصارف الصّدقات محصورةٌ بالأصناف الآتية:

﴿لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾: اختلف العلماء من هو المسكين ومن هو الفقير، بعضهم قال: بأنّ الفقير هو الّذي لا يملك شيئاً، وسمّي فقيراً؛ لأنّ فِقار الظّهر تكون منحنيةً من شدّة الفقر والحاجة والعِوز، أمّا المسكين فهو الّذي يملك ما لا يكفيه، واستدلّوا بذلك على السّفينة الّتي ذُكرت في سورة (الكهف)، وكانت لمساكين يعملون في البحر: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [الكهف]، وبغضّ النّظر عن الاختلاف في تعريف الفقير والمسكين، المهمّ بأنّ مصارف الزّكاة كما بيّنها القرآن الكريم هي للمحتاجين من الفقراء والمساكين، فهؤلاء أوّل من يُصرف عليهم من أموال الزّكاة.

وبالتّأكيد فإنّ الأيتام والمحتاجين تحت عنوانٍ واحدٍ، وهو عنوان: الفقير والمسكين، فالمجتمع الإيمانيّ هو مجتمعٌ متعاضدٌ متكاتفٌ كما بيّن النّبيّ ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**»[1]، ليست هي

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الحديث رقم (٢٥٨٦).

كلماتٌ وإنّما هي أفعالٌ، والإنفاق على ذوي الحاجات أمرٌ من فطرة الإنسان، لكن في الإسلام هناك فرضٌ على كلّ مسلمٍ يملك النّصاب، وإذا امتلك النّصاب ومرّ عليه الحول؛ أي عامٌ، يُخرج الزّكاة، وبيّن النّبيّ ﷺ زكاة المال بأنّها اثنان ونصف بالمئة، وهناك زكاة الزّروع وغيرها... وجاء تفصيلها في أبواب الفقه ولسنا بصددها الآن.

وعندما تحدّث القرآن الكريم عن الزّكاة قال للنّبيّ ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: من الآية ١٠٣]، فالزّكاة تؤخذ وليست هي منّةٌ ممّن يؤدّيها، هي تؤخذ؛ لأنّها حقٌّ معلومٌ لكلّ إنسانٍ محرومٍ وفقيرٍ ومسكينٍ في هذا المجتمع، والّذي يريد فعلاً أن يطرق أبواب السّماء فليطرقها بيد الفقراء، قال ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٥]، وقال ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة]، إذا كانت هذه الأرض الّتي هي مخلوقةٌ لله تبارك وتعالى أعطت سبعمئة ضعفٍ فكيف بخالقها ﷻ؟

﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: حتّى لا يكون هناك منٌّ على الفقير ولا سؤالٌ وحاجةٌ من قِبل الفقير للغنيّ، يكون هناك من يجبي الزّكاة وله أن يأخذ نسبةً منها كأجرٍ له.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: هذا المصرف للزّكاة كان لدفع ضرر أُناسٍ ومجموعاتٍ كانت في أيّام الإسلام الأولى؛ لأنّ الصّدقة والعطاء يُليّنان

القلوب، والمعروف دائماً يترك أثراً في النّفوس غير المريضة، لذلك كان هناك في بداية أيّام الإسلام مصرفٌ من المصارف تُعطى لجماعاتٍ حتّى تُؤلَّف قلوبهم ويردّ ضررهم، وعندما وجد سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ بأنّ هذا المصرف لم يعد موجوداً في زمانه أوقفه، ولكنّه ﷺ لم يعطّل النّصّ.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: إعتاق الرقبة كان موجوداً عندما كان هناك رقٌّ نتيجة الحروب، لكنّ الإسلام أنهى موضوع الرّقّ وصفّاه بالتّدريج، وجعل عتق الرّقبة في كلّ أمرٍ.

هذا المصرف لم يعد موجوداً وهذا ليس تعطيلاً للنّصّ، لكن قد يأتي وقتٌ آخر تكون فيه حاجةٌ ليُصرف من الزّكاة على المؤلّفة قلوبهم أو في الرّقاب، لا ندري فقد يعود بعد خمسمئة عامٍ أو ألف عامٍ، فالقرآن الكريم لا يُعطّل، وإنّما المصارف الّتي وردت في القرآن قد لا تكون موجودةً، فعندما لا تكون موجودةً يبقى النّصّ كما هو، ولكن يُنتظر أن يكون هناك وقتٌ آخر يُطبّق فيه.

﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: الغارمون: جمع غارم، وهو: مَن عليه دين، وهم قسمان: الغارم لمصلحة نفسه، كأن يستدين في نفقةٍ، أو في كسوةٍ، أو في سكنٍ، أو في مرضٍ، وغير ذلك. والغارم لمصلحة المجتمع، أو بسبب مصلحة الغير، وهم الّذين يغرمون لإصلاح ذات البين.

﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: كلّ أمرٍ يؤدّي إلى الخير في المجتمع فهو في سبيل الله ﷻ.

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وهو من كان مسافراً وانقطعت به الطّرق، فإنّه يُمنح من مال الزّكاة ما يكفيه أن يرجع إلى بلده.

(الآية ٦١) - ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾:

من أسماء سورة (التّوبة) سورة (الحافرة)؛ لأنّها تخرج المخبّأ من المنافقين، ويُطلق العلماء عبارة: (مناهل التّوبة)؛ أي الآيات الّتي فضحت المنافقين وتبدأ بقوله ﷻ: ﴿وَمِنۡهُمُ﴾، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، ﴿* وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾، ومنهم ومنهم، هذه يسمّونها مناهل (التّوبة).

﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾: الأُذن هي وسيلة إدراكٍ، وهي الجارحة العمدة في الإنسان، وعندما يطلقون جارحة أو وسيلة إدراكٍ على الإنسان يقولون: سمّيع، أو يده طويلة، الجارحة هي اليد، لكن المقصود السّرقة، فإذاً عندما يقولون: أُذُن؛ أي يبني الأحكام والآراء كلّها على ما يقال له، يعطي أذنه للكلام كلّه، فيجيب المولى ﷻ عن النّبي ﷺ يقول ﷻ:

﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾: هو يسمع من السّماء، والسّماء تعطي الخيريّة للنّاس، فهو يسمع من الوحي إذاً هو نقضٌ لفكرة أنّه هو أُذن؟ يقول المولى: نعم أذنٌ لكن أذن خير، لماذا؟ لأنّه يسمع من جبريل عليه السلام، ويعطي

منهج الله ﷻ، منهج الخيريّة للنّاس جميعاً.

﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾: الإيمان هو التّصديق، يؤمن؛ أي يصدّق، هناك فارقٌ ما بين الباء وما بين اللّام ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، يؤمن بالله؛ أي يصدّق بما جاء به الله ﷻ، يصدّق بالله تعالى وبوجوده ﷻ، يؤمن للمؤمنين؛ أي لمصلحة المؤمنين، يصدّق المؤمنين، لكن لا يصدّق المنافقين والكاذبين والمشركين.

﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾: فرسول الله ﷺ رحمةٌ للعالمين، يقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وهنا يقول: ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾ فكيف يكون الأمر بين الاثنين؟ هو رحمةٌ للعالمين؛ لأنّه جاء من أجل البشريّة جمعاء بمنهج الخير والمحبّة والتّسامح والعطاء، ولكن هو يوم القيامة رحمة للمؤمنين؛ لأنّه سيشفع للمؤمنين بدخول الجنّة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: أي الّذين يقولون عنه: أذن، ويؤذونه بالكلام والفعال، فهم شتموه وحاصروه وناهضوه ولكنّهم حقيقةً لا يؤذون رسول الله ﷺ، وإنّما يؤذون من آمن برسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب]، فهل يستطيع أحدٌ أن يؤذي الله ﷻ؟ الجواب: هم يؤذون من آمن بالله ﷻ، ويقفون صدّاً وحاجزاً أمام دعوة الخير.

﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: دائماً العذاب الأليم يكون يوم القيامة، فلا يوجد

مؤمنٌ أو مسلمٌ من الممكن أن يولّي نفسه قاضياً ويحكم بين النّاس، فالله ﷻ هو الّذي يحكم بين النّاس.

(الآية ٦٢) - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾: المنافق يريد دليلاً حتّى يغطّي كذبه فيحلف بالله ﷻ.

﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾: الّذي يريد إرضاء النّاس لا يضع في معياره وحسابه الله ﷻ، وإرضاء البشر غايةٌ لا تُدرك؛ لأنّ للنّاس أهواءً، والأهواء تتصارع، فإذاً لا بدّ من أن يكون الرّضا لربّ النّاس وليس للنّاس، هم يحلفون بالله ﷻ ليرضوكم فالله ﷻ يجيب:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾: لم يقل: (الله ورسوله أحقّ أن يرضوهما)؛ لأنّ رضا الله ﷻ من رضا رسول الله ﷺ، ورضا رسول الله ﷺ من رضا الله ﷻ، فوحّد الضّمير، وهذا التّوحيد للضّمير لا يكون أبداً إلّا لرسول الله ﷺ، وهذه مكانةٌ اختصّ الله ﷻ بها النّبيّ ﷺ.

﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: الشّرط هو: ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، فالمؤمن هو الّذي يحلف بالله ﷻ ليرضي الله ورسوله، ويكون اتّجاه حركته في الحياة باتّجاه إرضاء الله ﷻ، أمّا غير المؤمن فهدفه هو إرضاء النّاس.

(الآية ٦٣) - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾: استفهامٌ استنكاريٌّ.

﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ﴾: تجدهم في القرى يضعون حديدةً كحدٍّ بين قطعة أرضٍ وقطعة أرضٍ أخرى، ومن هنا جاءت كلمة يحادد؛ أي يتجاوز الفصل ما بين الحقوق، فمن يحادد الله ﷻ يتجاوز حدوده وحدود رسوله ﷺ، فلا يقولنّ قائلٌ: "ما لنا ولحديث رسول الله؟ نحن نأخذ بالقرآن فقط"، فهذه الآيات القرآنيّة كلّها هي إجابةٌ مباشرةٌ وواضحةٌ بشكلٍ يقطع أيّ جدلٍ بأنّه لا يمكن أبداً إذا أردنا أن نطيع الله ﷻ أن نطيعه من غير التزامنا بأوامر رسول الله ﷺ، فلا بدّ لنا من حديثه ﷺ، قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: من الآية ٤٤]، هذا أمرٌ واضحٌ، فقد أمرك الله ﷻ بالصّلاة، لكن تفاصيل الصّلاة تأخذها من رسول الله ﷺ، وكذلك الزّكاة والمواريث.. يعطي الله ﷻ الأساس وتأخذ التّفاصيل من رسول الله ﷺ، وهذا بالأحكام والمعاملات والأخلاقيّات والشّرائع كلّها، إنّما الرّسول عليه الصّلاة والسّلام هو المكلّف بالبيان وكذلك هو الوحيد المفوّض بالتّشريع، فهو يشرّع ويحدّد الخاصّ والعامّ والأمور المتعلّقة بالأحكام الدّينيّة والشّرعيّة كلّها.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾: الخزي هو العذاب، ومهين؛ أي أنّ جمع العذاب مع الإهانة يسمّى خزياً، فهذا هو الخزي العظيم والخزي الّذي يكون يوم القيامة.

(الآية ٦٤) - ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾: الحذر هو الاستعداد لدفع خطرٍ أو ضررٍ متوقّع، فيبيّن المولى ﷻ أنّ المنافقين على خوفٍ دائمٍ من أن ينكشفوا وتُفضح خبايا سرائرهم المريضة؛ لأنّهم يظهرون عكس ما يُبطنون، فدائماً يحذر المنافقون بأنّ هناك خطراً عليهم من أن ينزّل المولى ﷻ سورةً تنبّئهم بما في قلوبهم، وهذا غيبٌ للنّفس.

﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾: النّبأ: الخبر.

﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾: أسلوب المنافق هو أسلوب الاستهزاء وليس لديه أسلوب الجدّ، يستخدم الاستهزاء للتّشكيك بالمجتمع والمؤمنين وبكلّ ما يجري، فالله ﷻ مخرجٌ ما تخافون منه ومبيّنه لرسوله الكريم، وهذا ما حدث في سورة (التّوبة)، فكانت هذه السّورة أكثر السّور الّتي تفضح سرائرهم، وتبيّن ما كانوا يحذرون ويتوقّعون من نزول الآيات القرآنيّة بشأنهم.

(الآية ٦٥) - ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾: عندما يُحشر المنافق في الزّاوية وتضيق عليه الأمور فإنّه يحوّل الأمر بأنّه لعبٌ من غير قصدٍ، إذاً هو استهزاءٌ ولعبٌ وخوضٌ في الأمور.

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾: وهل الاستهزاء يكون بالخالق ﷻ وبمن يبلّغ رسالته ﷺ؟ وهل يجرؤ إنسانٌ على أن يستهزئ بخالقه؟ فإن أفلت من عقابه في الدّنيا فلن يفلت في الآخرة، وفي الدّنيا دروسٌ تثبت صحّة كلّ كلمةٍ جاءت في كتاب الله ﷻ وأنبأ عنها النّبيّ ﷺ.

(الآية ٦٦) - ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾:

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾: هل النّفاق هو كفر؟ الجواب: نعم؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النّساء]، فالنّفاق أشدّ من الكفر؛ لأنّ الكفر واضحٌ أمامك، أمّا النّفاق فهو إيمان اللّسان لا إيمان الوجدان.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: نفتح باب التّوبة لمن يتوب نعفو عنه، فمن تاب منهم فإنّ الله ﷻ يقبله.

﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: لأنّ ارتكابهم للجرائم بحقّ المجتمع وبحقّ أنفسهم وبحقّ الآخرين هو السّبب في خزيهم يوم القيامة.

(الآية ٦٧) - ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ﴾: بعضهم من بعضٍ في

الخسّة والقبح والكذب والافتراء والتّدليس والخيانة، هذه صفات المنافقين.

﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ﴾: أوّل ما أنكرته الفطر السّليمة هو عدم الإيمان بالله ﷻ، وترك الاستقامة والقيم الأخلاقيّة، فلذلك هم يأمرون بالمنكر الّذي هو نقضٌ لما تعارفت عليه الفطر السّليمة والمجتمعات الإنسانيّة من قيمٍ ومسلّماتٍ أخلاقيّةٍ ووطنيّةٍ ودينيّةٍ.

﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: المعروف: هو ما تعارف عليه النّاس وتوافقوا عليه وقبلوه وارتضوه من عقيدةٍ ودينٍ وعلاقاتٍ وشؤونٍ تتعلّق بطبيعة حياة البشر.

﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾: قبض اليد كناية عن البخل؛ أي أنّهم لا ينفقون في سبيل الله ﷻ، فالمنافق ينظر إلى الدّنيا ولا ينظر إلى الآخرة، وينظر إلى العبد ولا ينظر إلى الرّبّ، فلذلك لا يمكن إلّا أن تكون يده مقبوضةً ولا يمكن أن يكون مصدر خيرٍ للغير، ولو كان هذا المصدر هو المصدر الماليّ أو العطاء والإنفاق في سبيل الله ﷻ.

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: الله ﷻ لا يُنسى لكنّهم نسوا أوامره.

﴿فَنَسِيَهُمۡۚ﴾: الله ﷻ لا ينسى، لكنّه نزع عنهم رحمته؛ أي منع رحمته عنهم.

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: المنافق هو الفاسق، والفاسق هو الخارج عن طاعة الله ﷻ وعن أوامره.

(الآية ٦٨) - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾: هذا وعيدٌ وليس وعدٌ، ولكن هل يقدّمُ المنافقون والمنافقات على الكفّار؟ الجواب: بالتّأكيد؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النّساء]، كلاهما في النّار، لكنّ الكفّار يكونون في دركٍ أعلى من المنافقين. فالحياة لا تستقيم إلّا بالوعد والوعيد، ولا بدّ من وجود ضوابط وتحذيرٍ من ارتكاب الجرائم والمخالفات، وأن تكون هناك عقوبةٌ في الآخرة على الخروج عن طاعة الله ﷻ وهي النّار، والمنافق هو في الدّرك الأسفل من النّار؛ لأنّه استغلّ الإيمان وهذا ما نسمّيه: بالتّديّن المغشوش، وقد يكون أنكى بالأمم من الإلحاد الصّارخ؛ لأنّ التّديّن المغشوش هو النّفاق الّذي يفصل المقاصد عن الشّعائر الإسلاميّة، يصلّي ويكذب، يصلّي وينمّ، يصوم ويغتاب، يرتكب الجرائم ويسرق ويزني ويقتل النّاس ويقول: لا إله إلّا الله.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ﴾: هي نتيجتهم وهي جزاؤهم فهم خالدون فيها.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائماً يتحدّث الله ﷻ عن الخلود في الجنّة أو الخلود في النّار، وفي آياتٍ أخرى يقول: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الأنعام: من الآية ١٢٨]، أي أنّ هناك جزءاً من النّاس يعذّبون في النّار وبعد ذلك يخرجون إلى الجنّة، هذا الاستثناء هو استثناء هؤلاء الّذين

يدخلون إلى النّار ويعودون إلى الجنّة، أمّا هنا فالمنافقون لهم عذابٌ مقيمٌ دائمٌ فلا يخرجون من النّار.

(الآية ٦٩) - ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾:

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ﴾: والقوّة تأتي من تطوّر الحضارة وتطوّر العلم، فالدّولة الّتي أخذت نصيبها من الحضارة وعندها علمٌ تكون أكثر قوّةً من الدّول الأخرى، العلم والحضارة هما وسيلتان لتحقيق القوّة في أيّ مجتمعٍ من المجتمعات.

﴿بِخَلَٰقِهِمۡ﴾: نصيبهم؛ أي استمتعوا بنصيبهم وحظّهم من هذه الحضارة ومن هذا العلم.

﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾: استمتعتم بنصيبكم كما استمتع الّذين من قبلكم.

﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾: بالطّريقة ذاتها بالتّمرّد على منهج الله جلّ وعلا وعلى أنبيائه عليهم السلام، هذا هو موكب الكفر، والموكب الّذي واجه موكب الأنبياء والرّسل عليهم السلام.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾: هذه الأعمال لا قيمة ولا وزن لها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ

﴿مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]، بطلت هذه الأعمال، في الدّنيا والآخرة، كيف حبطت أعمالهم في الدّنيا وهذه الحضارة العظيمة؟ أين هم؟ أين فرعون؟ أين إرم ذات العماد؟ أين هي هذه الحضارات؟ إذاً حبطت في الدّنيا ولم تبق؛ لأنّ الإنسان هو عالم أغيار، ومهما بلغ من العلم والحضارة فإنّها تنتهي بانتهاء حياته.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: لأنّهم خسروا الدّنيا وخسروا الآخرة، خسران الدّنيا هو التّمتع الّذي يراه بعض النّاس في جزءٍ من الحياة الدّنيا بأنّه حاز على الدّنيا، فسعادة وطمأنينة وسكينة المؤمن تعدله بذلك.

(الآية ٧٠) - ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾:

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾: المؤتفك أي المنقلب، وهم قوم لوط؛ لأنّ الله تبارك وتعالى قلب عاليها سافلها.

ذكر المولى ﷻ هنا الأشخاص والأعلام، وتحديداً قوم نوحٍ وعادٍ وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين قوم شعيب والمؤتفكات قوم لوط.

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: جاءتهم الرّسل وبيّنت لهم الحقائق، فلم يظلمهم الله ﷻ، ولكنّهم ظلموا أنفسهم.

(الآية ٧١) - ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾:

والضّدّ يُظهر حسنه الضّدّ، المولى ﷻ عندما تحدّث عن المنافقين والمنافقات قال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ بينما قال عن المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، ما هو الفارق؟ النّفاق يستجمع الشّرور كلّها بشرٍّ واحدٍ، القبح والكذب والنّميمة والغيبة.. هذه الأمور كلّها مجتمعة، فلا يحتاج الشّرّ إلى تواصي، أمّا الخير فمتعدّدٌ، فالإنسان قد يكون عنده هنا خيرٌ وهنا سوءٌ، فيحتاج إلى أولياء، فكلٌّ منهم يأخذ من خطأ الآخر نصيباً ليُعلّمه أو ليصحّحه، فأنت تكون مستقيماً لا تكذب وهناك إنسان يكون جيّداً في كثيرٍ من الأمور لكنّه يكذب، فالصّادق يستطيع التّأثير، وأن يكون وليّاً لمن خدش الإيمان بأمرٍ ما، لذلك قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ لقوله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، ولم يقل: (ووصّوا بالحقّ) فأنت اليوم موصٍّ بهذا الخُلق وغداً تكون موصّى.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: يأمرون بالشّيء المتعارف عليه والأمر الّذي يؤدّي إلى الخير للغير، وذلك عندما لا تسرق من مال الآخرين وعندما لا تكذب على الآخرين وعندما لا تغتاب الآخرين وعندما تؤمر بأن تقول الحُسنى ويقول النّبيّ ﷺ: «**إنّ أحبّكم إليّ وأقربكم منّي يوم القيامة**

أحاسنكم أخلاقاً»[1]، من الّذي يستفيد من خُلُقك أنت؟ الآخر يستفيد، وهذه الخيريّة هي الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، المجتمع بما تعارف عليه وتوافق عليه من قيمه النّاظمة الأخلاقيّة الّتي جاءت بالرّسالات السّماويّة.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: لماذا أتبعها بالصّلاة والزّكاة؟ الجواب؛ لأنّ الصّلاة استدامة ولاءٍ لله ﷻ، وهي عمدة الأركان، ويجب أن يكون مع الصّلاة إثباتٌ وهو الإنفاق، وهو أن يسند الإنسان أخاه الإنسان ليس فقط بالأخلاق وإنما أيضاً إن احتاج للمال.

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: لأنّ الإسلام ليس فقط الأركان، فالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ والشّهادتان أعمدة الإسلام؛ لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**بُني الإسلامُ على خمس: شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإقامِ الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصوم رمضان**»[2]، ولم يقل: هذا هو الإسلام، فالإسلام هو أوامر الله ﷻ كلّها، كلّ أمرٍ جاء بعد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هو الإسلام، عندما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ

---

(١) مصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الأدب، ما ذكر في حسن الخُلق وكراهية الفحش، الحديث رقم (٢٥٣٢٠).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النّبيّ ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، الحديث رقم (٨).

﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٤]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: من الآية ٢٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: من الآية ٢]، هذا هو الإسلام لذلك تطيع في كلّ ما أمر وتنتهي عن كلّ ما نهى عنه وزجر.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾: لماذا لم يقل: يرحمهم؟ الجواب: للتّرغيب، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم]، سين المستقبل، فأنت تنتظر دائماً في كلّ يومٍ رحمة الله تعالى لذلك جاءت سين المستقبل.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عزيزٌ لا يُغلب، وحكيمٌ يضع الأمور في نصابها.

(الآية ٧٢) - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾:

المقابل الآن هو وصف النّعيم الّذي وعد الله ﷻ به المؤمنين والمؤمنات، ولا شكّ أنّ الوعد هو بشارةٌ للخير في المستقبل، ولا يستقيم ميزان الحياة إلّا بين الوعد والوعيد، بين بيان الجزاء وبيان الثّواب، فإن اختلّ

هذا الميزان وجاء الوعد مكان الوعيد؛ أي كوفئ الّذي لا يعمل، وعوقب الّذي يعمل فسد الكون؛ لأنّ كلّ إنسانٍ يحبّ النّفع لنفسه، فلا بدّ من الوعد كي يتمّ الاجتهاد والعمل، ولا بدّ من الوعيد قبل أن يفسد الإنسان لعلّه يرتدع.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: الجنّة تطلق على البستان والأماكن الجميلة الّتي تملؤها الأشجار والزّهور، وهي عامّةٌ للمؤمنين يتمتعون بها جميعاً.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود ليس موجوداً في الدّنيا، فقد تزول عنك النّعمة وتذهب المتعة، كأن تُصاب بكارثةٍ ماليّةٍ أو تخسر خسارةً كبيرةً في تجارتك، أو تكون صحيحاً فتمرض، أمّا في الجنّة فلا تفارق النّعمة ولا تفارقك النّعمة؛ لأنّه ليس هناك أغيارٌ ولا موت.

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: هذه المساكن زيادةٌ على الجنّة، وهنا وعدٌ من الله ﷻ لكلّ مؤمنٍ بجنّةٍ خاصّةٍ بمفرده، يكون له فيها مسكنٌ طيّبٌ؛ أي ليس فيه ما يسيء أو يضايق، بل كلّ ما فيه يملأ النّفس بالسّرور والبهجة. عن سهل بن سعد السّاعديّ قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنّة حتّى انتهى، ثمّ قال ﷺ في آخر حديثه: «**فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ**»[1]، إنّ ألفاظ اللّغة لابدّ أن توضع لمعانٍ مرّت على العين أو السّمع أو الخاطر، والجنّة موجودةٌ

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، الحديث رقم (٢٨٢٥).

لكن لا يمكن لبشرٍ أن يصفها، فالألفاظ تُضاف إلى اللّغة بعد وجود الشّيء؛ لذلك فإنّ اللّغة عاجزةٌ تماماً عن التّعبير عمّا يوجد في جنّة الآخرة، كما ذكر النّبيّ ﷺ في حديثه وقال ﷻ: ﴿۞مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرّعد: من الآية ٣٥].

﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: عدن: معناها الإقامة، وعَدَن في المكان؛ أي أقام به، فهي جنّات إقامةٍ؛ لأنّ هناك فارقاً بين أن تسكن في مكانٍ مؤقّتٍ وبين أن تقيم خالداً.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: هو النّظر إلى وجه الله ﷻ، قال ﷺ: **«إنّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنّة، فيقولون: لبّيك ربّنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربّ، وأيّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**(١).

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: الفوز العظيم: هو الرّضوان من الله ﷻ والنّظر إلى وجهه ﷻ.

(الآية ٧٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ﴾: الجهاد: هو بذل الجهد، يطلب المولى ﷻ من

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب صفة الجنّة والنّار، الحديث رقم (٦١٨٣).

النّبيّ ﷺ أن يجاهد الكفّار والمنافقين ومن اتّبعوهم من أئمّة الكفر والفساد في مجتمع المدينة في ذلك الوقت؛ أي اصمد أمامهم في معاركهم الّتي يشنّونها عليك.

﴿ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: المنافق عدوٌّ صعبٌ؛ لأنّه يغشّنا فلا نأمنه، ومع أنّ النّفاق بحدّ ذاته بالنّسبة لمنهج الله ﷻ هو دليل قوّة هذا المنهج؛ لأنّ هذا المنافق ينافق؛ لأنّه يظهر بأنّه أضعف من القويّ، فالمؤمنون بعد الهجرة إلى المدينة أصبحوا بحالةٍ من القوّة، بينما المنافقون إيمانهم زائفٌ ومغشوشٌ. وعندما يؤمر النّبيّ ﷺ بأن يجاهد الكفّار والمنافقين؛ أي بالبرهان والإقناع والحُجّة، حيث يقتنع العقلاء بالمنطق، وإن حاول أحدهم أن يعتدي فيُردّ العدوان، وإن فشل جهاد الحُجّة فالله ﷻ يقول:

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: يغلظ عليهم لإيضاح المصير الّذي ينتظرهم، فكلّ كافرٍ هو عابدٌ للدّنيا يخاف أن تضيع منه، فاغلظ عليهم؛ أي أنذرهم بالعذاب الّذي ينتظرهم، فالعقوبة تحمي المجتمعات من انتشار الجرائم فيها، فكلّ مجتمعٍ لا بدّ أن تكون فيه عقوباتٌ وأن تسنّ قوانين تردع المجرمين، وهذا أمرٌ طبيعيٌّ.

(الآية ٧٤) - ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾:

سبب النّزول: نزلت في الجُلَاس بن سُويدٍ، وذلك أنّ رسول الله ﷺ خطب ذات يومٍ بتبوك فذكر المنافقين وسمّاهم رجساً وعابهم، فقال جُلَاسٌ: لئن كان محمّدٌ صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير، فسمعه عامر بن قيسٍ، فقال: أجل، إنّ محمّداً لصادقٌ وأنتم شرٌّ من الحمير، فلمّا انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيسٍ فأخبره بما قال الجُلَاسُ، فقال الجُلَاس: كذب عليّ يا رسول الله، وأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا عند المنبر بعد العصر، فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الّذي لا إله إلّا هو ما قاله، ولقد كذب عليّ عامرٌ، ثمّ قام عامرٌ فحلف بالله الّذي لا إله إلّا هو لقد قاله وما كذبتُ عليه، ثمّ رفع يديه إلى السّماء وقال: اللّهمّ أنزل على نبيّك تصديق الصّادق منّا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون: «آمِينَ»، فنزل جبريل عليه السلام على النّبيّ ﷺ قبل أن يتفرّقوا بهذه الآية، حتّى بلغ: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾، فقام الجلاس فقال: يا رسول الله، أسمع الله عزّ وجلّ قد عرض عليّ التّوبة، صدق عامر بن قيسٍ فيما قاله، لقد قلتُه وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه ثمّ تاب وحسنت توبته.

وهكذا حسمت هذه الآية الكريمة الموقف، وأظهرت من الصّادق ومن هو الكاذب.

﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْ﴾: وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى يُخبر نبيّه بما يُخفيه المنافقون عنه، فقد همّ المنافقون بقتل المسلم الّذي سمع قولهم: لنحن شرٌّ من الحمير، لكي لا يُفشيه. وقيل: هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة في

طريق تبوك -والعقبة هي مجموعةٌ من الصّخور العالية الّتي تعترض الطّريق- ليفتكوا برسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، فأرسل حُذيفة رضي الله عنه لذلك.

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: نقموا؛ أي كرهوا، والغنى كما نعلم أمرٌ لا يُكره، لكن وروده هنا دليلٌ على فساد طبعهم وعدم الإنصاف في حكمهم؛ لأنّ الغنى والأمن اللّذان لحقا بهم ليسا عيباً ولا يولّدا كراهيّةً، بل كان من الطّبيعيّ أن يولّدا حبّاً وتفانياً في الإيمان وحبّاً لرسول الله ﷺ وليس تآمراً عليه، وقد جاءت العبارة هنا بالإفراد، فلم يقل سبحانه وتعالى: (أغناهم الله ورسوله من فضلهما)، ولكن قال: ﴿أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يُثنّى مع أحدٍ حتّى لو كان سيّدنا رسول الله ﷺ، عن عديّ بن حاتم: أنّ رجلاً خطب عند النّبيّ ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله**»، قال ابن نمير: «**فقد غوى**»[1]، فلا يجمع مع الله عزّ وجلّ أحدٌ.

﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾: لأنّ فضل الله سبحانه وتعالى منسحبٌ على رسول الله ﷺ، فإن كان لرسول الله ﷺ فضلٌ فهو من فضل الله جلّ جلاله.

﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾: فتح لهم باب التّوبة رحمةً بالمجتمع؛ لأنّها لا

---

(١) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصّلاة والخطبة، الحديث رقم (٨٧٠).

تدفع المجرم للاستشراء في إجرامه، وقد تاب جُلَاسٌ بعدها وحسُن إسلامه.

(الآية ٧٥) - ﴿* وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾:

سبب النّزول: عن أبي أمامة أنّ ثعلبة بن حاطب الأنصاريّ: أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «**ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه**»، ثمّ رجع إليه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «**ويحك يا ثعلبة، أما تريد أن تكون مثل رسول الله ﷺ؟ والله لو سألت أن يسيل لي الجبال ذهباً وفضةً لسالت**»، ثمّ رجع إليه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، والله لئن أتاني الله مالاً لأوتينّ كلّ ذي حقّ حقّه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللّهمّ ارزق ثعلبة مالاً**»، فاتّخذ غنماً فنمت كما ينمو الدّود حتّى ضاقت عنها أزقّة المدينة، فتنحّى بها وكان يشهد الصّلاة مع رسول الله ﷺ ثمّ يخرج إليها، ثمّ نمت حتّى تعذّرت عليه مراعي المدينة فتنحّى بها، فكان يشهد الجمعة مع رسول الله ﷺ ثمّ يخرج إليها، ثمّ نمت فتنحّى بها فترك الجمعة والجماعات فيتلقّى الركبان ويقول: ماذا عندكم من الخبر؟ وما كان من أمر النّاس؟ فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبة: من الآية ١٠٣]، قال: فاستعمل رسول الله ﷺ على الصّدقات رجلين؛ رجلاً من الأنصار ورجلاً من بني سليم، وكتب لهما سنة الصّدقة وأسنانها وأمرهما أن يصدقا النّاس، وأن يمرّا بثعلبة فيأخذا من صدقة ماله

ففعلا، حتّى ذهبا إلى ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: اصدقا النّاس فإذا فرغتما فمرّا بي، ففعلا فقال: والله ما هذه إلّا أخية الجزية، فانطلقا حتّى لحقا رسول الله ﷺ وأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ: ﴿* وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ قال: فركب رجلٌ من الأنصار قريب لثعلبة راحلةً حتّى أتى ثعلبة فقال: ويحك يا ثعلبة، هلكت، أنزل الله ﷻ فيك القرآن كذا، فأقبل ثعلبة ووضع التّراب على رأسه وهو يبكي ويقول: يا رسول الله، يا رسول الله، فلم يقبل منه رسول الله صدقته حتّى قبض الله رسوله ﷺ[1].

﴿* وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾: وكأنّه قال: أُقسم بالله إن آتاني الله ﷻ مالاً لأفعلنّ كذا وكذا.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: جواب القسم، والصّدقة هنا هي الصّدقة الواجبة؛ أي الزّكاة.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي نزيد في التّطوّع والمروءة وكلّ ما يدلّ على الصّلاح.

(الآية ٧٦) - ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾:

لله ﷻ عطاءان؛ عطاء الأسباب وعطاء الفضل، عطاء الأسباب يتمثّل بأن يجدّ الإنسان في أيّ عملٍ من الأعمال، ويعمل ويكدح فيعطيه

(١) المعجم الكبير: ج٨، صدى بن العجلان، الحديث رقم (٧٨٨٩).

الله ﷻ ثمرة عمله مؤمناً كان أو كافراً، طائعاً أو عاصياً، وأمّا عطاء الفضل فإنّ الله ﷻ يستره في عطاء الأسباب، فيُبارك ﷻ مثلاً ببيع محصولٍ، ولا يُصرف ما يُجنى من مالٍ على مرضٍ أو على شيءٍ طارئٍ فيذهب هذا المال؛ أي يجعل فيه بركةً، فالتّكاثر الّذي حصل في أغنام ثعلبة لم يكن تكاثراً بالأسباب فقط، بل ببركة دعاء النّبيّ ﷺ.

﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾: هناك أسماءٌ في اللّغة للامتناع عن العطاء، كالبخل والشّحّ.

(الآية ٧٧) - ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾:

﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ﴾: أعقبهم؛ أي جعل العاقبة لهذا التّصرّف من النّفاق في قلوبهم إلى يوم يلقونه؛ أي يوم القيامة، حيث تُفضح هذه السّرائر الّتي كانت في داخلهم؛ لأنّ المنافق كذّابٌ، فأحد أهمّ صفات النّفاق هو الكذب، فالّذي يكذب على نفسه من الأولى أن يكذب على الآخرين، والكذب خُلُقٌ مذمومٌ، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التّوبة]؛ لأنّ الصّدق إيمانٌ، ومن ثمّ بعد التّصديق بالله ﷻ وبآياته لا بدّ أن تكون صادقاً، والأحاديث الّتي وردت عن الصّدق كثيرةٌ، قال ﷺ: «**إنّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ الرّجل ليصدق حتّى يكون صدّيقاً، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار، وإنّ الرّجل ليكذب**

حتّى يكتب عند الله كذّاباً»[1]، إذاً الصّدق بالنّسبة للمؤمن علامةٌ من علامات الإيمان، قال أبو الدّرداء ﷺ: يا رسول الله، هل يسرق المؤمن؟ قال: «قد يكون ذلك»، قال: فهل يزني المؤمن؟ قال: «بلى، وإن كره أبو الدّرداء»، قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: «إنّما يفتري الكذب من لا يؤمن، إنّ العبد يزلّ الزلّة ثمّ يرجع إلى ربّه فيتوب، فيتوب الله عليه»[2]، إلى آخر هذه الأحاديث الّتي تؤكّد على أنّ المؤمن صادقٌ، في حين المنافق كذّاب ويختلق ما يقوله، ويحاول أن يبرهن على وجوده في المجتمع من خلال نفاقه وكذبه، وقد يسأل سائلٌ: لماذا يستخدم الإنسان النّفاق؟ الجواب: لتحقيق مكاسب ومآرب، وهو يُظهر غير ما يبطن ممّا يؤدّي إلى خللٍ كبيرٍ في المجتمعات الإنسانيّة، ولا شكّ أنّ محاربة النّفاق لا يمكن أن تكون من خلال القوانين، فلا يمكن أن ألقي القبض على أحدٍ لأنّه منافقٌ، فهذا أمرٌ لا يتعلّق إلّا بالوازع الدّينيّ وبالضّمير الدّينيّ.

(الآية ٧٨) - ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾: الهمزة للاستفهام، ولم نافية، والخبر إمّا أن يكون مجرّداً عن النّفي، أو خبراً معه النّفي، أو خبراً معه الاستفهام، وأقوى أنواع الإخبار

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، الحديث رقم (٥٧٤٣).

(٢) كنز العمّال: ج٣، ص ٨٧٤، الحديث رقم (٨٩٩٤).

الخبر الموجود معه النّفي، والموجود مع النّفي الاستفهام؛ لأنّ الخبر على الصّورة الأولى يكون من المتكلّم، وعندما يقول المولى ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾: هذا إخبارٌ باستفهامٍ ونفي، وهو من أقوى أنواع الإخبار.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: السّرّ: هو ما يكتمه الإنسان في نفسه ولا يُطلع عليه أحداً، وليس هو ما يسرّ به للغير؛ لأنّ هذا يسمّى نجوى، وأصل النّجوى البعد، فالسّرّ: هو ما احتفظ به الإنسان لنفسه، والنّجوى: هو ما أسرّ به للغير، وهذه صورةٌ أخرى من صور المنافقين وما يفعلونه بالمؤمنين، هنا المولى ﷻ يبيّن أنّه يعلّم السّر ويعلم النّجوى.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: ذكرنا أنّ هناك غيباً محجوباً بالزّمان، وغيباً محجوباً بالمستقبل، وغيباً محجوباً بالمكان، فالله ﷻ علّام الغيوب، فهو ﷻ يعلم السّرّ والنّجوى وما تخفي الصّدور، قال ﷻ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر].

(الآية ٧٩) - ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾:

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾: اللّمز: العيب، ولكن بطريقٍ خفيّ، يعيبون في المطّوعين لجمع الزّكاة من المؤمنين، أو الّذين يتطّوعون بشيءٍ زائدٍ من جنس ما فرضه الله ﷻ، فبسبب اختلال موازينهم يعدّون الحسنة نقيصةً.

سبب النّزول: حثّ رسول الله ﷺ على الصّدقة فجاء عبد الرّحمن

ابن عوفٍ بأربعة آلاف درهمٍ، وقال: يا رسول الله، مالي ثمانية آلافٍ جئتك بأربعة آلافٍ فاجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلافٍ لعيالي، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت**»، وتصدّق يومئذٍ عاصم بن عَدِيٍّ العجلانيّ بمئة وَسقٍ من تمرٍ، وجاء أبو عقيل الأنصاريّ واسمه الحبحاب بصاعٍ من تمرٍ وقال: يا رسول الله، بِتُّ ليلتي أجرّ بالجرير الماء حتّى نلتُ صاعين من تمرٍ فأمسكت أحدهما لأهلي وأتيتك بالآخر، فأمر رسول الله ﷺ أن ينثره في الصّدقة، فلمزهم المنافقون، وقالوا: ما أعطى عبد الرّحمن وعاصمٌ إلّا رياءً، وإن كان الله ورسوله لغنيّان عن صاع أبي عقيلٍ، ولكنّه أراد أن يُذكَر فيمن أعطى الصّدقة، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾: طاقتهم، والجهد: الطّاقة.

﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾: يستهزئون بهم، وكان يجب أن يمدحوا المتصدّقين لا أن يستهزئوا بهم؛ لأنّ كلّاً منهم تصدّق على قدر طاقته، فالقضيّة ليست قضيّة كمٍّ، وإنّما هي قضيّة إيمانٍ؛ لذلك قال ﷺ: «**والصّدقة برهان**»[1]، تبرهن على صدق الإيمان؛ لأنّ إخراج المال من الإنسان أصعب من أن تفرض عليه عدداً من الرّكعات، وقضيّة السّخرية والاستهزاء هي إحدى الوسائل الّتي يستخدمها المنافقون في المجتمع.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: إذا سمعنا فعلاً من البشر يقابله

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

فعلٌ من الله ﷻ، فإيّاك أن تفهم الفعل من الله ﷻ كما فهمت فعل البشر، فحين يقول الله تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾؛ أي ردّ سخريّتهم يوم القيامة بأنّ لهم عذاباً أليماً، فعندما كان سيّدنا نوح عليه السلام: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [هود]، هذا هو معنى السّخرية؛ أي يردّ السّخرية ويكون ذلك بالعذاب الأليم كما ورد في هذه الآية.

(الآية ٨٠) - ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾:

عن عروة قال: لمّا نزلت: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، قال النّبيّ ﷺ: «**لأزيدنّ على السّبعين**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون]، الآية.

عندما توفّي عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس النّفاق -وهو مَن حرّض على رسول الله ﷺ، ومَن قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضّوا، ومَن عمل على قضيّة الإفك بحقّ أمّ المؤمنين السّيّدة عائشة رضي الله عنها- جاء ابنه فقال لرسول الله ﷺ: استغفر لأبي؛ أي اطلب من الله ﷻ المغفرة له، فاستغفر له النّبيّ ﷺ إكراماً لعبد الله بن عبد الله بن أبيّ الّذي أسلم

وحسُن إسلامه، فقال له الله ﷻ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾: عدد السّبعين يُقصد به الكثرة؛ أي مهما استغفرت بأيّ عددٍ من الأعداد فلن يغفر الله ﷻ لهم من نفاقهم وكفرهم، وممّا فعلوه مع رسول الله ﷻ كان النّبيّ ﷺ يقول: «**اللّهمّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون**»(١)، هو استغفر لكنّ الله ﷻ قال: ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾، لن؛ أي انتهى الأمر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: السّبب الأساسيّ بأنّهم كفروا بالله ﷻ وبرسول الله ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: المنافق هو فاسقٌ؛ لأنّه خارجٌ عن أوامر الله ﷻ.

(الآية ٨١) - ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾:

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: الفرح هو السّرور من فعلٍ تبتهج به النّفس، والمخلّفون هم الّذين أخلفهم وتركهم نفاقهم ليبقوا في المدينة، وتركوا الرسول ﷺ عندما خرج إلى غزوة تبوك الّتي كانت في أشدّ الفصول حرّاً، وقدّموا معاذير كاذبة فتركهم رسول الله ﷺ؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأنبياء، باب ٥٢، الحديث رقم (٣٢٩٠).

خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: المقعد: هو مكان القعود، والقعود هو رمز البقاء في أيّ مكانٍ، والقيام رمزٌ لبداية ترك المكان إلى مكانٍ آخر.

﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: خلاف: مصدر خالف، فتكون مخالفةً بالرّأي ومخالفةً بالقعود، وبيّن الحقّ ﷻ سبب تخلّف المنافقين فقال:

﴿وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بل أرادوا أيضاً تثبيط همم المؤمنين وإكراههم على البقاء في المدينة فقالوا لهم:

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾: هم لم يكتفوا بموقفهم المخزي، بل أخذوا يحرّضون المؤمنين على عدم القتال، وأعطوا لأنفسهم عذراً بأنّ الجوّ حارٌّ وفيه مشقّةٌ.

﴿قُلْ﴾: يا محمّد.

﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ﴾: إن كانوا قد هربوا من الحرّ والمشقّة، فإنّ مشقّة نار جهنّم أكبر بكثير، والإنسان لم يخطر بباله ما هي نار جهنّم؟ لذلك أعلمهم الله ﷻ بأنّ هذا الأمر سيكون مآلهم.

﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾: الفقه: هو الفهم الدّقيق، إنّك إن أدركت شيئاً بسطحيّة تكون قد عرفته، ولكنّك إن أدركته بمعطياته وخلفياته كلّها، وأدركت حقيقته تكون قد فقهته، صحيحٌ أنّهم كانوا سيتعبون بذهابهم إلى غزوة تبوك في الحرّ، ولكن بقعودهم ستكون العقوبة أكبر وأشدّ.

(الآية ٨٢) - ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾:

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾: الضَّحك هو فِعلٌ غريزيٌّ فطريٌّ، يحدث للإنسان عندما يقابل شيئاً يسرّه، أمّا البكاء فهو فِعلٌ غريزيٌّ أيضاً إزاء أحداثٍ تُدخل الحزن أو الشّجن والهمّ على الإنسان، ولا دخل للجنس أو اللّون أو البيئة بهذه القضيّة؛ لأنّ الضَّحك والبكاء انفعالان طبيعيّان موحّدان لا تؤثّر فيهما البيئة ولا الثّقافة ولا الجنس، وقد أسندهما الله ﷻ لنفسه فقال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النّجم]، فرح المنافقون عندما بقوا في المدينة؛ لأنّهم في راحةٍ وسرورٍ، وخرج المؤمنون للجهاد مع رسول الله ﷺ لردّ العدوان عن المدينة من قِبل الرّوم، وجاء هنا بصيغة تأكيدٍ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟﴾؛ أي أنّ الضّحك لا بدّ أن يحدث؛ لأنّ هذا الكلام من الله ﷻ.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: لماذا لم يقل: (جزاءً بما كانوا يعملون)؟ أو: (جزاءً بما كانوا يفعلون)؟ وما الفارق بين: (يكسبون) وبين (يفعلون) و(يعملون)؟ نعلم أنّ لكلّ جارحةٍ من جوارح الإنسان مجرى عمل، فالأذن تسمع، والعين ترى، واليد تُمسك، والقدم تمشي، والأنف يشمّ، والأنامل تلمس، كلّ عضوٍ له مهمّةٌ، فإن كانت المهمّة هي النّطق باللّسان تكون قولاً، وإن كانت المهمّة من باقي الجوارح أصبحت فعلاً، القول مع الفعل نسمّيه عملاً، فإذا قال الحقّ: (يفعلون) فيكون ذلك مقابل (يقولون)؛ لأنّ الإنسان قد يقول بلسانه ولا يفعل، ولكن إذا اتّحد القول

والفعل فيكون هناك عملٌ، وكلّ شيء لا يتّسق منطقيّاً مع قيم المنهج يكون فيه افتعالٌ، فالكسب عملٌ والاكتساب افتعال؛ لأنّ الكسب عملٌ طبيعيٌّ، والاكتساب هو افتعالٌ للكسب، يقول الله ﷻ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦]؛ لأنّ الاكتساب بالحرام فيه افتعالٌ يتعب النّفس ولا يجعلها منسجمةً مع جوارحها، وهذا من طبيعة النّفاق أيضاً، وهنا يقول الحقّ ﷻ: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، وكان مقتضى الكلام أن يُقال حسب فهمنا الجزئيّ: (جزاءً بما كانوا يكتسبون)؛ لأنّ العمليّة فيها إثمٌ ومعصيةٌ، فلا بدّ أن يكون فيها افتعالٌ، ولكن الحقّ ﷻ يخبرنا أنّ هؤلاء المنافقين قد اعتادوا المعصية وعاشوا في الكفر والنّفاق، فأصبحت العمليّة سهلةً بالنّسبة لهم ليس فيها تكلّف.

(الآية ٨٣) - ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾:

﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ﴾: غير مسموحٍ لهم الخروج مع النّبيّ ﷺ أو قتال الأعداء إذا هجموا على المدينة؛ لأنّهم منافقون، ووجودهم بلاءٌ، فلم يقتصر جزاؤهم على أن تشطب أسماؤهم من سجلّات الخارجين مع الرّسول ﷺ، بل هناك جزاءٌ آخر وهو أنّهم مُنعوا من أن يكونوا مع رسول الله ﷺ في الدّفاع عن المدينة المنوّرة.

﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: وهذا هو سبب طردهم.

﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾: الخالفين: إمّا أن يكونوا قد تخلّفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ، أو خالفوا أمر الرّسول ﷺ بالخروج أو لفسادهم، فخلوف فم الصّائم هو تغيّر الرّائحة، وتغيّر الرّائحة يدلّ على فساد الشّيء، فكأنّهم أصبحوا فاسدين ومخالفين لأمر رسول الله ﷺ.

(الآية ٨٤) - ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾:

هنا الخطاب للنّبيّ ﷺ، وهي تتعلّق بعبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس النّفاق في المدينة، وقد لعب دوراً خطيراً في تثبيط النّاس عن الذّهاب مع رسول الله ﷺ وتآمر على الرّسول الكريم مع اليهود، وكانت حادثة الإفك من الأمور الّتي شاع بها هذا المنافق الكبير.

سبب النّزول: عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: لمّا مات عبد الله بن أبيّ ابن سلول دُعي له رسول الله ﷺ ليصلّي عليه، فلمّا قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلت: يا رسول الله، أتصلّي على ابن أبيّ وقال: يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ أعدّد عليه قوله، فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «**أخّر عنّي يا عمر**»، فلمّا أكثرت عليه قال: «**إنّي خيّرت فاخترت، لو أعلم أنّي إن زدت على السّبعين يغفر له لزدت عليها**»، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ ثمّ انصرف، فلم يمكث إلّا يسيراً حتّى نزلت الآية من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ

فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[1]، فما صلّى رسول الله ﷺ بعده على منافقٍ ولا قام على قبره حتّى قبضه الله ﷻ.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾: من المعلوم أنّ صلاة الرّسول ﷺ على ميّتٍ هي رحمةٌ وغفرانٌ لذنوبه؛ لأنّ الصّلاة على الميّت طلبٌ للرّحمة والمغفرة، وصلاة الميّت الّتي شرّعها الإسلام وأمر بها الرّسول ﷺ هي أربع تكبيراتٍ تبدأ بالثّناء على الله ﷻ، بعد ذلك الصّلاة على رسول الله ﷺ، وتنتهي بالدّعاء للميّت، فهي طلب رحمةٍ ومغفرةٍ له، فلنتصوّر بأنّ الرسول الكريم ﷺ هو الّذي يصلّي على الميّت، ودعوة رسول الله ﷺ مستجابةٌ من الله ﷻ؛ لذلك حرمهم الله ﷻ من الرّحمة في وقتٍ يكونون فيه بأشدّ الحاجة إليها، لذلك قال ﷻ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾، هو نهيٌ عن فعلٍ لم يأت زمنه بعد، فالله ﷻ نهى أن يصلّي النّبيّ ﷺ على المنافقين في المستقبل.

﴿مَّاتَ أَبَدًا﴾: لم يقل: (يموت)، لاحظ دقّة القرآن الكريم فلو كان من عند غير الله ﷻ لكانت الجملة: (ولا تصلّ على أحدٍ منهم يموت)؛ لأنّه سيموت في المستقبل، لكنّ الله ﷻ استخدم صيغة الماضي بالموت؛ لأنّ الموت عمليّةٌ حتميّةٌ مقرّرةٌ عند الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزّمر]، إنّه يتحدّث عن الموت بصيغة الماضي؛ لأنّه منتهٍ، فأجل الإنسان

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصّلاة على المنافقين، الحديث رقم (١٣٠٠).

مكتوبٌ ومعروفٌ عند الله ﷻ، وهو شيءٌ لا يقرّر في المستقبل، فموعد الموت لا يُحدّد قبل حدوثه بليلةٍ أو ليلتين أو بسنةٍ أو سنتين، لكنّ الموعد حُدّد بالنّسبة للإنسان وانتهى الأمر.

وعدم صلاة رسول الله ﷺ على المنافقين حكمٌ عامٌّ على المنافقين كلّهم؛ لذلك لم يعد النّبيّ ﷺ يصلّي على منافقٍ بعد نزول هذه الآية، أمّا من أراد من النّاس أن يصلّي فليصلّ؛ لأنّ صلاة الرّسول ﷺ تختلف عن صلاة البشر، صلاة الرّسول دعاءٌ من الرّسول بالرّحمة، فإذا دعا فإنّ الله ﷻ يستجيب لدعائه ﷺ.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: منعه الحق ﷻ بعد هذه الآية أن يقف على قبور المنافقين ويدعو لهم، والمولى ﷻ يعطينا العلّة في ذلك فيقول:

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: كان المنافقون يبطنون الكفر في قلوبهم ويُظهرون الإيمان أمام المؤمنين.

﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: بما أنّهم كفروا بالله ﷻ ورسوله الكريم فهل ماتوا وهم فاسقون أو وهم كافرون؟ الفاسق: هو الخارج عن المنهج، لكن هنا يتساءل الإنسان: أليس الكفر أكبر مرتبةً من الفسق؟ الجواب: بلى، فنحن نعلم أنّه ليس بعد الكفر ذنبٌ، الكفر هو عدم الإيمان بالله ﷻ ورسوله الكريم وعدم الدّخول في الإسلام، لكنّ الفسق هو عدم الالتزام بأيّ قيمةٍ من القيم؛ لأنّ الدّين قد أوجد في النّفوس عامّةً قيماً أخلاقيّةً معروفةً يتّبعها حتّى الّذين كفروا، فمثلاً عندما أرادوا بناء الكعبة قبل الإسلام قالوا:

نريد أن نبنيها بمالٍ حلالٍ لا يدخل فيه مال بغيّ، وكانوا في الماضي يحضرون البغايا ويقيمون لهم الرّايات ويأخذون من أموالهم، فقول الحقّ ﷻ: ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾؛ أي لم يلتزموا بأيّ قيم.

(الآية ٨٥) - ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾:

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾: قد يقول قائلٌ: إنّ هذه الآية قد وردت تقريباً حرفيّاً في آيةٍ سابقة من هذه السّورة فلماذا هذا التّكرار؟ نقول: نعم قد وردت، ولكن هذه لها معنىً، والآية الأخرى لها معنىً آخر، الآية الأولى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾، أمّا الآية هنا: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾، أوّل اختلافٍ نجده في بداية الآيتين، ففي الآية الأولى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾، والثّانية: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾، الفارق أنّه في الآية الأولى جاء الحقّ تعالى بالفاء، والفاء تقتضي التّرتيب، إذاً الآية مترتّبةٌ على ما قبلها من آياتٍ، وهي قول الحق ﷻ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾، كأنّ هذه حيثيّات كفرهم، فهم لا يصلّون إلّا نفاقاً، ولا ينفقون مالاً في سبيل الله ﷻ إلّا وهم مكرهون على ذلك، المتعة في المال أن تنفقه فيما تحبّ، فإذا أحببت طعاماً

اشتريت، وإذا أحببت ثوباً ابتعت، وهذا يمنحك شعوراً بالسّعادة، والمؤمن عندما ينفق ماله بصدقةٍ أو زكاةٍ فهو يفعل ذلك إيماناً منه بأنّ الله ﷻ سيعطيه أضعافاً مضاعفةً من الأجر في الدّنيا والآخرة، ويكون فرحاً بذلك؛ لأنّه عمل في دنياه لآخرته، أمّا المنافق الّذي يضمر الكفر في قلبه فهو لا يؤمن بالآخرة ولا يعرف البركة في الرّزق، فكأنّه أنفق ماله من غير أن يحصل على شيءٍ، لذلك يكون مُكرهاً، فالمسألة في نظره خسارةٌ في المال، وإن أنفق الإنسان وهو كارهٌ فسيشعر بغصّةٍ وتعبٍ، لماذا ينفقه وهو لا يؤمن أصلاً بالآخرة ولا بجزاءٍ؟! فيريد المولى ﷻ أن ينبّهنا إلى أنّ رزقه لهؤلاء النّاس هو سببٌ في شقائهم وإذلالهم في الدّنيا، فيجعلهم يجمعون المال بعملٍ وتعبٍ ثمّ ينفقونه بلا ثوابٍ، وأحدهم يذهب إلى الحرب مع رسول الله نفاقاً فينفق على الرّاحلة والسّلاح ولا يأخذ ثواباً، ويربّي أولاده ويكون ذلك وبالاً عليه، فإيّاك أيّها المؤمن أن تعجبك هذه الأموال.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: لأنّهم في الأصل أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان بالله ﷻ.

(الآية ٨٦) - ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾:

وهكذا شاء الحقّ ﷻ أن يفضح المنافقين هؤلاء الّذين استمرقوا الاستمتاع والبقاء في المدينة، وأبطنت قلوبهم الكفر والكيد للمسلمين:

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: هو خطابٌ واضحٌ للمنافقين يكشف بطلان إيمانهم.

﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: أي اجعلوا قلوبكم صادقةً مع ألسنتكم.

﴿وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ﴾: أي انفروا للجهاد مع رسوله، وهو التّعبير العمليّ عن الإيمان.

﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾: استأذن على وزن استفعل، وتأتي للطّلب، كأن تقول: استفهم؛ أي طلب أن يفهم، استعلم؛ أي طلب أن يعلم، فقول الحق ﷻ: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾؛ أي طلبوا الإذن؛ ولأنّهم يتظاهرون بالإيمان ويبطنون الكفر تجدهم ساعة النّداء للجهاد لا يقفون مع المؤمنين كما جرى في غزوة تبوك.

﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: أي أصحاب القوّة والقدرة، أن تطول الشّيء؛ أي أنّك تحاول أن تصل إليه، فهم الّذين يملكون مقوّمات الجهاد مع رسول الله ﷺ من سلامة البدن من الأمراض ووجود القوّة، ولا يعانون من ضعف الشّيخوخة.

﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: والقاعد مقابله القائم، والقيام هو مقدّمةٌ للحركة.

(الآية ٨٧) - ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾:

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾: أرادوا أن يكونوا مع الخوالف، والخوالف جمع خالفة، فقد ارتضوا لأنفسهم أن يطبّق عليهم الحكم الّذي يطبّق على النّساء، أن يبقوا مع الخوالف في المدينة، لذلك كانوا لا يفقهون؛ لأنّهم ارتضوا لأنفسهم وصفاً لا يليق بالرّجال، وفرحوا بهذا الوصف من غير أن ينتبهوا لما فيه من إهانةٍ لهم.

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: المنافق له مَلَكةٌ قوليّةٌ ومَلَكةٌ قلبيّةٌ، فقوله إعلانٌ بالإيمان، أمّا قلبه فممتلئٌ بالكفر، وفي هذه الحالة تتضارب ملكاته فيختم الله ﷻ على قلبه.

﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾: الفقه هو الفهم؛ أي لا يفهمون ما حُرموا منه من ثوابٍ ونعيمٍ بعدم خروجهم مع رسول الله ﷺ.

(الآية ٨٨) - ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨﴾:

تخلّف بعض أصحاب القوّة والجاه والمال عن الجهاد مع رسول الله يجب أن لا يُشيعَ الفزع أو الحزن في نفوس المؤمنين؛ لأنّ الله ﷻ معهم؛ ولأنّ لهم الخيرات؛ أي لهم كلّ ما يُطلق عليه خير.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: المفلح هو الفائز النّاجي المستفيد من ثمرة عمله، وأصل الكلمة من فَلَح الأرض؛ أي شقّ؛ لأنّ الزّراعة تقتضي أن تحرث الأرض أوّلاً، وهذه مهمّة الإنسان ليخرج الزّرع، وهذا جزاء المؤمنين في الدّنيا، وهناك جزاءٌ آخر في الآخرة.

(الآية ٨٩) - ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩﴾:

هناك فارقٌ كبيرٌ بين الخير والفلاح في الدّنيا والفوز في الآخرة، فالدّنيا موقوتةٌ بعمرك وتتمتّع فيها بقدر أسبابك، أمّا الآخرة والجنّة فهي أبديّةٌ وتتمتّع فيها بقدر قدرة الله ﷻ، بقدر المسبّب وليس بقدر الأسباب، وهذا هو الفرق ما بين الفوز في الدّنيا والفوز في الآخرة.

(الآية ٩٠) - ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾:

الحديث في هذه الآية عن المنافقين الّذين كانوا يعيشون في البوادي حول المدينة وهم الأعراب.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: المعذِّرون هم المعتذرون، هناك افتعالٌ؛ أي هم الّذين يعتذرون ويريدون أن يتخلّفوا عن القتال بأعذارٍ مفتعلة.

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: قعدوا نتيجة الاعتذار وطلبهم بأن يكونوا مع الخوالف، طلبوا الإذن فأذن لهم الرّسول الكريم.

(الآية ٩١) - ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾:

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾: الضّعيف: هو من لا يقدر على العمل ليس بسبب المرض، بل لكبر سنّه.

﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾: كذلك الإعفاء من القتال جاء للمرضى.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾: الّذين لا يجدون ما ينفقون فهم من شدّة فقرهم لا يستطيعون شراء السّلاح والرّاحلة للخروج، والنّفقة: أن تقدر أن تعول نفسك في الذّهاب والإقامة مدّة الخروج مع رسول الله ﷺ.

﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي ينصحون ويشجّعون أولئك القادرين على الخروج مع رسول الله ﷺ فيحمّسونهم على قتال الرّوم، ثمّ يكونون في عون الأهالي الّذين بقوا في المدينة، ويواجهون الإشاعات والأكاذيب الّتي يطلقها المنافقون واليهود للنّيل من الرّوح المعنويّة للمسلمين، فيردّون عليهم وعلى ألسنة السّوء.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾: السّبيل هو الطّريق، ومعناها ما عليهم من إثمٍ أو لومٍ أو توبيخٍ أو تعنيفٍ، كلّ هذا لا يجد سبيلاً على المحسنين أبداً.

(الآية ٩٢) - ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾:

المعفوون من الجهاد هم الضّعيف والمريض ومن لا يجد قوتاً ولا راحلةً، وأولئك طلبوها من رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وهؤلاء قد حزنوا مرّتين؛ لأنّهم لم يستطيعوا الخروج مع رسول الله ﷺ، ولأنّهم سيبقون في المدينة متخلّفين.

﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾: والفيض: دموعٌ تخرج من العين، وهو تعبيرٌ عن شدّة الحزن؛ لأنّهم لا يجدون ما ينفقونه ليشتروا الدّابّة ويخرجوا مع رسول الله ﷺ.

تَمَّ بِفَضْلِ اللهِ تعالى تَفْسِيرُ الجزْءِ العَاشِر

اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ على كلِّ نِعمةٍ أنعمتَ بها علينا في قَديمٍ أو حَديثٍ، أو خاصَّةٍ أو عامَّةٍ، أو سرٍّ أو عَلانية، لكَ الحَمْدُ بالإسلامِ، ولَكَ الحَمْدُ بالإيمانِ، ولكَ الحَمْدُ بالقُرآنِ، ولكَ الحَمْدُ بالمالِ والأهلِ والمعافاةِ.

اللَّهمَّ ارْفَعْنا بالقُرآنِ الكريمِ في دَرَجِ الجِنَانِ، وارْفَعْ عَنَّا بِفَضْلِهِ الأحْزانَ، وزوِّدْنا بِفَضْلِهِ مِنَ الخَيراتِ الحِسانِ، وَضَاعِفْ لَنا الأُجُورَ بِرَحْمَتِكَ وإحْسَانِكَ يا وَاهِبَ المِنَنِ الحِسَانِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا لِقُرْآنِكَ خَاشِعِينَ، وَبِلَيلِكَ قَائِمِينَ رَاكِعِينَ سَاجِدِينَ، وَبِعِبَادَتِكَ مُخْلِصِينَ، وَلِحَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَابِعِينَ، وَبِحُبِّكَ وَاصِلِينَ، وَلِجَنَّتِكَ مُسْتَحِقِّينَ، وَلِوَجْهِكَ الكَرِيمِ نَاظِرِينَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِتَرْكِ المعَاصِي دَائِماً مَا أَحْيَيْتَنَا، وَارْحَمْنَا بِتَرْكِ مَا لا يعنِينَا، وارْزُقْنَا حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنَّا، وَأَلْزِمْ قُلُوبَنَا حِفْظَ كِتَابِكَ كَمَا عَلَّمْتَنَا، وَنَوِّرْ بِهِ أَبْصَارَنَا، واشْرَحْ بِهِ صُدُورَنَا، واجْعَلْنَا نَتْلُوهُ كَمَا يُرْضِيكَ عَنَّا، وافْتَحْ بِهِ قُلُوبَنَا، وَأَطْلِقْ بِهِ أَلْسِنَتَنَا.

سُبْحَانَ ربِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

فهرس

رقم الآية – نصّ الآية **رقم الصّفحة**

تفسير سورة (الأنفال) من الآية: (٤١–٧٥):

٤١ – ﴿* وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ ٩

٤٢ – ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ ٩

٤٣ – ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ ١١

٤٤ – ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ ١١

٤٥ – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ١٢

٤٦ – ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ

ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ١٣

٤٧- ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ ١٥

٤٨- ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ ١٦

٤٩- ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ ١٨

٥٠- ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ ١٩

٥١- ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ ١٩

٥٢- ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ ٢٠

٥٣- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ ٢١

٥٤- ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ ٢٢

٥٥- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ٢٢

٥٦- ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ ٢٣
٥٧- ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾ ... ٢٤
٥٨- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨﴾ ٢٤
٥٩- ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩﴾ ٢٥
٦٠- ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ ٢٥
٦١- ﴿* وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾ ٢٧
٦٢- ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ ٢٨
٦٣- ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ ٢٩
٦٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ ٣٠
٦٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ ٣٠

٦٦- ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ ٣١

٦٧- ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ ٣٢

٦٨- ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾ ٣٣

٦٩- ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩﴾ ٣٣

٧٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ ٣٣

٧١- ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ ٣٣

٧٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ ٣٤

٧٣- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ ٣٥

٧٤- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ ٣٦

٧٥- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ ٣٦

تفسير سورة (التّوبة) من الآية: (١-٧٥): ٤١

١- ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١﴾ ٤٤

٢- ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾ ٤٥

٣- ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣﴾ ٤٥

٤- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤﴾ ٤٦

٥- ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ ٤٧

٦- ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦﴾ ٤٩

٧- ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾ ٥٠

٨- ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ ٥٠

٩- ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ ٥١

١٠- ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾ ٥١

١١- ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ ٥٢

١٢- ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ ٥٣

١٣- ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ ٥٤

١٤- ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ ٥٦

١٥- ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ ٥٧

١٦- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ ٥٧

١٧- ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ٥٨
١٨- ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾
..... ٥٩
١٩- ﴿ *أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ ٦١
٢٠- ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٦٢
٢١- ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾
..... ٦٢
٢٢- ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ٦٣
٢٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ٦٤
٢٤- ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٦٥

٢٥- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ٦٦

٢٦- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ ٧١

٢٧- ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ ٧١

٢٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ ٧١

٢٩- ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ٧٣

٣٠- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ٧٥

٣١- ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ

سُبۡحَٰنَهُۥ وَعَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ٧٦
٣٢- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ٧٧
٣٣- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ٧٨
٣٤- ﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾﴾ ٧٩
٣٥- ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ٨٣
٣٦- ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ٨٥
٣٧- ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

..... ٨٦
٣٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ ٨٧
٣٩- ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ ٨٨
٤٠- ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ ٨٩
٤١- ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ ٩٢
٤٢- ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢﴾ ٩٣
٤٣- ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ ٩٤
٤٤- ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤﴾ ٩٥

٤٥- ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ٩٦

٤٦- ﴿*وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ٩٧

٤٧- ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ٩٨

٤٨- ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ٩٩

٤٩- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ١٠٠

٥٠- ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ١٠٠

٥١- ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ ١٠١

٥٢- ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ١٠٣

٥٣- ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ ١٠٣

٥٤- ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ ١٠٤

٥٥- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ١٠٤

٥٦- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ١٠٦

٥٧- ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ١٠٧

٥٨- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ١٠٧

٥٩- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ١١٠

٦٠- ﴿*إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ ١١١

٦١- ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ ١١٥

٦٢- ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ٦٢﴾ ١١٧
٦٣- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ٦٣﴾ ١١٧
٦٤- ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ٦٤﴾ ١١٩
٦٥- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ٦٥﴾ ١١٩
٦٦- ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٦٦﴾ ١٢٠
٦٧- ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٦٧﴾ ١٢٠
٦٨- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٦٨﴾ ١٢٢
٦٩- ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٦٩﴾ ١٢٣

٧٠- ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ١٢٤

٧١- ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ ١٢٥

٧٢- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ ١٢٧

٧٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ ١٢٩

٧٤- ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ ١٣٠

٧٥- ﴿* وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ١٣٣

٧٦- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ١٣٤

٧٧- ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾ ١٣٥
٧٨- ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ ١٣٦
٧٩- ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ ١٣٧
٨٠- ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾ ... ١٣٩
٨١- ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾ ١٤٠
٨٢- ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ ١٤٢
٨٣- ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾ ١٤٣
٨٤- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ ١٤٤

٨٥- ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥﴾ ١٣٧
٨٦- ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦﴾ ١٤٨
٨٧- ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧﴾ ١٤٩
٨٨- ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨﴾ ١٥٠
٨٩- ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٨٩﴾ ١٥٠
٩٠- ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٠﴾ ١٥١
٩١- ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩١﴾ ١٥١
٩٢- ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ٩٢﴾ ... ١٥٢
تضرّع ودعاء ١٥٣
فهرس: ١٥٥